حرب الشوارع

تجربة سبع ثورات



جيمس كونولولي

حرب الشوارع

تجربة سبع ثورات

ترجمة:

منير شفيق

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
تموز ١٩٧٢

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

شارع كليمنصو - بناية جفينور - الطابق السادس (شقة ٦٠٢ ب)
تلفون ٣٤٤٠٨٥
بيروت - لبنان

مكتبة الشيوعيين العرب على الإنترنت
https://sites.google.com/site/arcommunistslibrary

نسخه للإنترنت بواسطة الماسح الضوئي: الصوت الشيوعي
https://sites.google.com/site/communistvoice
communistvoice@yahoo.com

الشجرة الحمراء

«كتب الشاعر الكبير ييتس W. B. Yeats مجموعة من القصائد في رثاء شهداء ثورة ١٩١٦ في ايرلنده ، وهذه احدى المقطوعات منها» .

يا كلمات قيلت همسا !

قال بيرس لكونولي :

« علّ كلام سياسة
قد اذبل شجرتنا الحمراء
او علّ رياحا هوجاء
لا تعصف الا في البحر المالح »

واجاب كونولي :

«تحتاج لأن تُسقى ..
فتعود الخضرة تكسو كل الجنبات
وتهز النوار
كي يغدو فخر البستان »

واجاب بيرس :

«لكن من اين الماء ؟»

رد كونولي :

«ان جفت كل الآبار
فالامر جلي جدا
ليس هناك سوى دمنا الاحمر
يقدر ان يعطي شجرة
حمراء حقيقية» (١) .

---

١ ـ نقلت من مجموعة ديوان ييتس ، نشر شركة مكميلان ، ص ٢٠٦ . ـالمترجم ـ

مقـــدّمة

اسم جيمس كونولي James Connolly ليس معروفا في بلادنا . ولم تترجم كتاباته الى العربية ، ولم يكتب احد عن سيرته . رغم ان حياتــه وموته وكتاباته تضعه في مصاف اعظم ثوريي القرن العشرين .

ولد جيمس كونولي عام ١٨٦٨ من ابوين ايرلنديين من الطبقة العاملة، وامضى الشطر الاول من حياته في سكوتلنده ، ثم عاد عام ١٨٩٦ الــى ايرلنده ليسهم في تأسيس الحزب الجمهوري الاشتراكي الايرلندي . ثم انتقل الى الولايات المتحدة واسس في نيويورك الاتحاد الاشتراكي الايرلندي عام ١٩٠٧ ، ليعود بعد ذلك ، في عام ١٩١٠ ، الى ايرلنــده ليلعب دورا بارزا في الحزب الاشتراكي الايرلندي ، فضلا عن دوره كنقابي عمالـــي انتُخب سكرتيرا لاتحاد عمال بلفاست Belfast ، والمنظــم المسؤول عن الحركة العمالية في آلستر Ulster .

لعب دورا بارزا في الحركة العمالية فـــي دوبلن ١٩١٣ ــ ١٩١٤ ، واصبح السكرتير العام لاتحاد النقابات فيهـــا ، وقائد جيش المواطـــن الايرلندي . وقد داب في هذه الفترة على تهيئة جماهير العمال والفلاحين عسكريا وذلك لانه رأى في الكفاح الثوري المسلح الطريق لتحقيق التحرير واسقاط الاستغلال . ولهذا راح يحرض على الثورة بكل ما أوتي من قوة، وقد نظر اليها بمنظار اشتراكي ماركسي ، وراح يعاملها كفن له أصوله العلمية ، ولعل المقالات التي ترجمت في هذا الكتيب تعكس للقارىء العربي مدى اهتمام كونولي وجديته في النظر الى الحرب الثورية كعلم وفن .

عندما اندلعت الثورة في ايرلنده ، عام ١٩١٦ ، كان كونولي احد قادتها الافذاذ نظريا وعمليا وعسكريا . وقد قاد بنفسه الجيش الجمهوري في مدينة دوبلن . ولكن الثورة لم تنجح ، وسقط كونولي مثخنا بالجراح، وحاكمه البريطانيون بمحكمة عرفية ونفذوا فيه حكم الاعدام رميا بالرصاص في ١٢ ايار (مايو) ١٩١٦ .

اذا كانت الحرب ، كما يقول كلاوسيفتس ، استمرارا للسياسة بوسائل اخرى ، ــ وهذه موضوعة لا يختلف فيهما اثنان ــ فان القادة الثوريين الحقيقيين أمثال كونولي ادركوا ان الحرب الثورية هي الاستمرار الطبيعي للسياسة الثورية ، ولكن الحرب تتم بوسائل أخرى غير وسائل السياسة ، يعني انها مجال خاص له قوانينه التي تختلف عن القوانين التي تحكم الصراع السياسي . ولهذا لا بد من ان تعامل الحرب كحرب، وتدرس كعلم قائم بذاته ، وتعالج كفن له قواعده واصوله . وهذا ما فعله كونولي حيث اصبح منظرا عسكريا وقائدا عسكريا وهو العامل النقابي والمناضل الاشتراكي والمفكر الثوري والشاعر الشعبي الغنائي .

واذا كان صدق الثائر لا يتكشف الا حين يتبع افكاره بالاعمال، ويوقف حياته من اجل القضية التي آمن بها ، فهذا ما فعله كونولي حتى اللحظة التي توقف فيها قلبه عن الخفقان برصاص الامبرياليين .

عندما اندلعت الحرب الامبريالية العالمية الاولى جاءت محكا لكل من سمى نفسه اشتراكيا او ماركسيا . وقد سقطت امام هذا المحك غالبية قيادات الاحزاب الاشتراكية الاوروبية ــ الاممية الثانية ــ وتحولت الى أبواق كل منها تؤيد المجهود الحربي لحكوماتها الامبريالية . ولكن كونولي استطاع بعبقريته الفطرية ، وشجاعته ، واخلاصه لقضية الاشتراكية ، ان يرى حقيقة تلك الحرب الاجرامية ، فوقف بكل حزم ضدها . وبهذا التقى مع لينين وكارل ليبنخت وروزا لوكسمبورغ ، رغم انه لم يكن قد قرأ لينين . لقد كتب بعد اربعة ايام من اندلاع تلك الحرب :

«يجب على الطبقة العاملة الاوروبية ، بدلا من ان تذبح بعضها بعضا لمصلحة الملوك واصحاب رؤوس الاموال ، ان تنتفض غدا لتنصب المتاريس في كل انحاء اوروبا ، محطمة الجسور ، وقاطعة طرق المواصلات ، من

اجل القضاء على الحرب . وانه لمن المشروع تماما ان نسير على هذا الدرب المجيد لكي نسهم في القضاء النهائي على الطبقات المفترسة التـي تنهب العالم وتسيطر عليه» . (مجلة «العامل الايرلنـــدي» ٨ آب (اغسطس) ١٩١٤) . وفعلا كان اول من سار عليه عندما قاد ثورة ١٩١٦ ضد الحرب الامبريالية ومن اجل تحرير ايرلنده وقد تحمس لينين جدا لتلك الثورة ، ومجدها وعنَّف كل من شجبها .

وبعد ، فان المقالات المترجمة هنا تتناول بالدراسة مجموعة مـــن الثورات ، وتركز بشكل خاص على تكنيك حرب الشوارع ، وقد اختتمها كونولي بدراسة مختصرة لخص فيها سمات قتال الشوارع . وهي لهذا تحتفظ بأهمية الدراسات التاريخية ، كما تسهم في العلم العسكري ولكن الأهم من هذا وذاك ، كونها ما زالت حية تحتفظ بأهمية خاصة حتى في عصرنا الحالي ، ولهذا سيجد الثوار والعسكريون الشرفاء فيها الهامـــا ودروسا عملية .

المترجم



تمهيد

نستهدف ان نقدم تحت هذا العنوان (١) دراسات لاحداث عسكرية وقعت في الماضي ، بقصد انارة اعضاء حركتنا وتوجيههم في العمل الذي اتحدوا من اجل القيام به . واننا لنأمل ان تؤدي الدراسة المدققة لهذه المقالات الى افادة أولئك الذين يطمحون في ان يعرفوا كيف استطاع رجال ونساء شجعان ، في مناطق اخرى ، وأزمنة أخرى ، ان يذللوا الصعاب ويحققوا شيئا للقضية التي اعتبروها مقدسة . واننا هنا لسنا في مقام اصدار حكم على قدسية ، او قيمة ، القضية التي ناضلوا من اجلها . اذ ان مهمتنا تنحصر في بحث انجازاتهم من الزاوية التي تكون ذات قيمة بالنسبة لاولئك الذين يرغبون في رؤية جيش المواطن Citizen Army قادرا على انجاز اية مهمة تناط به .

واننا لنقترح ان يحتفظ بهذه المقالات كمراجع .

جيمس كونولي
قائد جيش المواطن في
مدينة دوبلن

---

١ ــ كتب كونولي هذه الدراسات على شكل مقالات متسلسلة في مجلة «جمهورية العمال» تحت عنوان «حول الحرب الثورية» . وكان رئيسا لتحرير «Workers Republic» هذه المجلة التي لعبت دور العمود الفقري لجيش المواطن الايرلندي . ــالمترجمــ



٢٩ ايار (مايو) ١٩١٥

ثورة موسكو ١٩٠٥

كانت نيران الثورة ، عام ١٩٠٥ ، تتأجج ، بقوة ، في روسيا . وابتدأت بتظاهرة غير مسلحة توجه بها الرجال والنساء الى قصر القيصر ، ومنها انتشر لهيب الانتفاضة المسلحة الى كل انحاء البلاد .

لقد قوبلت التظاهرات السلمية بوابل من نيران البنادق اطلقها فرسان القوزاق ، وتبعها هجوم فرسان الجيش الذي شق التظاهرات ومزقها بكل قسوة . فاندلعت اضرابات عامة في كل الروسيا جوابا على ذلك الهجوم. وانتقل الشعب من الاضرابات الى الانتفاضة المسلحة ، وتمرد الجنود ، في بعض الحالاتِ ، وانضموا الى الشعب ، بينما استولى بحارة الاسطول، في حالات اخرى ، على قطع مدرعة من الاسطول القيصري ، ورفعوا الاعلام الثورية على سارياتها .

وكان من بين تلك الاحداث حدث الثورة فيموسكو ، وسيكون موضوع دراستنا هذا الاسبوع لانه تميز ببقاء الجنود موالين للقيصر ، مما جعله يتحول الى قتال مكشوف بين قوة ثورية وبين قوة حكومية . وبهـــذا يمكننا دراسة :

١ ــ تكتيك جيش نظامي يهاجم مدينة دوفع عنها بالمتاريس .

ب ــ تكتيك قوة ثورية تسيطر على مدينة في مواجهة جيش نظامي .

ولعل من حسن حظنا في مهمتنا هذه ، بوصفنا مؤرخين ، ان شاهد تلك الاحداث في موسكو صحفي انكليزي لا جدال بمقدرته ، وبُعد نظره ، ووضوح رؤيته ، كما انه مراقب عسكري لا يُدانى ، وهو هـ. نيفينسون H. W. Nevinson المراسل الحربي الشهير . ولهذا فقد بنينا وصفنا لتلك الثورة على كتابه «فجر روسيا» The Dawn of Russia ، فضلا عن علاقاتنا الشخصية بالعديد من اللاجئين السياسيين الروس الذين شاركوا فيها .

كان ثوريو موسكو قد قرروا تأجيل العمل الى وقت آخر طويل ، على امل ضمانة مشاركة الفلاحين لهم . ولكن الاجراءات الفعالة التي اتخذتها الحكومة عجّلت باندلاع الاحداث . اذ بينما كان البحث يدور في بيت ما في موسكو حول مسألة هل تندلع «الثورة المسلحة» ام «لا ثورة الآن» ، راحت قوات الجيش تطوق بهدوء تلك البناية التي فيها البيت المذكور . ولم يشعر الثوريون بوجودهم الا بعد ان سقطت قذيفة مدفع على البناية من مسافة قريبة ، فقتل او أسر عدد كبير من القادة الذين كانوا في ذلك الاجتماع ، ولكن المدينة كانت في صباح اليوم التالي قد اعلنت الثورة المسلحة .

ثمة تناقض حاد في المعلومات المتعلقة بعدد الثوريين الذين اشتركوا في الثورة . اذ اكدت تقديرات الحكومة التي استهدفت المبالغة بأهمية الدور الذي قام به الجيش ، ان عدد الثوريين بلغ خمسة عشر الفا . بينما تقول تقديرات الثوريين من ناحية أخرى، ان عددهم لم يتجاوز الخمسمائة مقاتل . اما السيد نيفينسون فيقول ان بحّاثا دقيقا من اصدقاء الثوريين يمتلك كل التسهيلات لمعرفة الحقيقة ، قدّر ان العدد يدور حوالي الف وخمسمائة ثوري . ودلت استنتاجاتنا التي استطعنا الخروج بها من قصص اللاجئين السياسيين الثوريين المذكورين اعلاه ، على ان الرقم الاخير يبدو أقرب ما يكون للواقع .

ان اسلحة الثوريين كانت هزيلة الى أقصى حدود الهزال . اذ لم يكن لدى الالف والخمسماية ثوري غير ثمانين بندقية مع ذخيرة هزيلة بالمستوى

نفسه . اما الاسلحة الاخرى فكانت مسدسات أفضلها مسدسات سريعة من طراز براونينغ Browning . ويبدو ان عدد المسدسات السريعة تلك كان متوفرا بنسبة جيدة بدليل ان الثوريين قد اعلنوا ، في اثناء القتال ، انهم سيسلحون كل من يتطوع بمسدس براونينغ في «مقابل» تطوعه .

وكانت القوة المقابلة ، لهذه القوة الضعيفة ، تمتلك في المدينة ثمانية عشر الف جندي مسلحين ببنادق سريعة تعبأ من المخزن الى جانب عدد كبير من مدافع الميدان .

ان القتال الفعلي الذي دام تسعة ايام ، ولم تستطع خلالها قوات الحكومة ، التقدم ، عمليا ، اية خطوة ، سوف ننقل صورته عن المؤلف الذي استشهدنا به اعلاه .

يقول، بالنسبة للمتاريس التي قامت في كل مكان تقريبا: «كان الاولاد والبنات الصغيرات يقيمونها في كل ممر ، ولم يكن بالامكان ان يعرف المرء اين هو المتراس الذي يدافع الثوار عنه ، واين هو المتراس الوهمي ، الامر الذي أعاق تقدم الجيش الى حد كبير ، اذ كان الجيش مضطرا لتخصيص وقت طويل لمعرفة طبيعة العقبة التي أمامه قبل ان يجرؤ على اجتيازها .

«ان العدد الضخم لتلك المتاريس (لقد احصيت بنفسي في فجر ذلك اليوم مائة وثلاثين متراسا ، ولم اكن قد احصيت النصف) جعل من الصعب ان يعرف المرء ما هو الهدف الرئيسي للقتال ...

«لا ادري ان كانت هنالك خطة محددة من ورائها ، ولكن اذا حكم المرء على الشكل الذي اخذته ، فسوف تبدو وكأنها تستهدف شق راس سهم من المتاريس الى قلب المدينة مدعوما بمتاريس أخرى على الجانبين من اجل منع تقدم قوات الجيش .

«لقد اغلقت المداخل الاربعة للطرقات المتقاطعة بصفوف مزدوجة او ثلاثية من المتاريس . وكانت المسافة بين المتراس والآخر حوالي عشرة امتار . وانني لأستطيع ان ارى من عند منعطف سادافويا Sadavoya وعلى مدى مرمى نظري ، المتاريس تتلوها متاريس على كلا الجانبين ،

بينما غطت اسلاك البرق والهاتف طول الطريق حيث امتدت بعض الاسلاك متراخية بينما تشابكت بعضها وكأنها نسجت نسجا . اما المتاريس التي اغلقت مركز تقاطع الطرقات فقد بدت كحصن حيث شيدت اعمدة اسلاك البرق او الدعامات الحديدية لاسلاك القاطرات الكهربائية (الترام) مسنودة بالابواب والقاطرات والواح الاعلانات وشدت جميعا بالاسلاك . وانتصبت هنا وهناك قاطرات لتدعم المتراس بينما خفقت على راس كل متراس راية صغيرة حمراء .

«لقد راح الرجال والنساء ينصبون المتاريس بحماسة بالغة ، وينشرون اعمدة البرق ، ويلوون القضبان الحديدية ، ويجرّون الجسور الخشبية من ساحات اعمال البناء .

وانه لمن الجدير هنا ان نلاحظ كيف ان كل الاشياء ، بما في ذلك الثورات الشعبية ، تغير سماتها عندما تتغير الظروف التي تعمل ضمنها، اذ لم يدافع عن اي متراس ، في موسكو ، بتلك الاساليب التي استخدمت في الثورات الفرنسية والبلجيكية السابقة .

يقول السيد نيفينسون : «ولكن المقاومة الفعلية لم تأت من المتاريس نفسها ، حيث لم «يقاتل» اي متراس ، منذ البداية حتى النهاية ، حسب المفهوم القديم للكلمة . فقد كانت الاساليب الثورية هنا اشد فعالية واكثر تعقيدا . اذ كانت المتاريس وشبكة الاسلاك في الشوارع الجانبية آمنة من الفرسان ، وكانت المتاريس عبر الشوارع الرئيسية قد جعلت حركة القوات النظامية بطيئة بالضرورة . وكان الشيء المريع بالنسبة للجنود في قتال الشوارع انهم لم يستطيعوا قط رؤية العدو الحقيقي . لقد كانوا يتقدمون نحو متراس او مدخل شارع جانبي مرسلين امامهم بعض الكشافة تحت غطاء النيران ، وما ان يزحفوا الى أمام ويقتربوا من المتاريس او مدخل الشارع الجانبي حتى ينهالوا بنيرانهم على متاريس مفرغة من المدافعين . ولكن فجأة يجدون انفسهم بعد تخطيها تحت نيران المسدسات الكثيفة على بعد خمس عشرة خطوة ، ومن كلا الجانبين . وكان من العبث الرد على النيران لانه ما كان امامهم عدو مرئي يمكن تسديد النار اليه . وان اقصى ما كان بمقدورهم ان يفعلوه هو اطلاق النار بكل اتجاه دون هدف محدد . ثم فجأة يتوقف اطلاق النار من المسدسات ، بينما يستمر

الجيش بقصف المباني واطلاق النار على النوافذ ليتحطم الزجاج وتخترق جدران الغرف ويخرب الاثاث في حين يكون الثوريون ، منذ وقت طويل ، قد تركوا تلك المنازل عبر الممرات الخلفية وانتقلوا الى شارع آخر تحضيرا لهجوم آخر مماثل» .

لم ينجح الجيش في سحق مقاومة الثوار ، ولكن الثورة توقفت ، فجأة ، وبالسرعة نفسها التي اندلعت فيها . اما السبب الرئيسي لانحلال الثورة المفاجىء فيرجع الى وصول اخبار غير مشجعة من بطرسبورغ التي كان من المتوقـع منها امداد موسكو بالمساعدة ، والى شائعات تقول ان جماعة من الفلاحين المعادين طلبت التعاون مع الجيش ضد الشعب الذي «كان يمنع بيع الانتاج الزراعي في سوق موسكو» .

نقـــد

ان قيام الجيش في جلب مدافع الميدان ، او اية مدفعية أخرى ، الى الاحياء التي يدور فيها قتال الشوارع ، هو ضد كل تعاليم العلم العسكري، اذ كان من الممكن بلا جدال ان تقع بأيدي الثوار لو لم يكونوا هزيلي التسلح هزالا شديدا . ولو كان هنالك اية مجموعة من الثوار مزودة بذخائر كافية نسبيا لكان على الحكومة ان تحتل موسكو من الثوار بعد ان تدفع ثمنـا غاليا من حيث الخسائر بالارواح .

ان قصف المدينة قصفا منتظما ما كان ممكنا الا في حالة واحدة وهي اخلاؤها من السكان الموالين للحكومة ، او ابعادهم عن خطوط الثوار . ولكن مثل هذا الاخلاء ، فضلا عن الاسباب الاجتماعية ضده مثل هجران اعمال الموالين وممتلكاتهم ، فان تأثيره المعنوي ــ اي هجران موسكو ــ سيكون ذا قيمة عسكرية كبيرة في تقوية مواقع الثوار واجتذاب قوات الـــى صفوفهم . ولهذا لما وجد الجيش نفسه مضطرا الى القتال في المدينة ، بتلك الصورة ، وضد قوة رديئة التسليح ، فان المرء لا يجد اخطاء كثيرة في التكتيك الذي اتبعه .

وكذلك يجب ان يقال عن الثوار انهم افادوا افادة رائعة مما فـــي

حوزتهم من وسائل . اذ كانت سياسة حكيمة الا يضعوا الرجال خلف المتاريس ، كما كانت سياسة حكيمة الا يطلقوا النار على مجال بعيد حيث سيكون بمقدور الاسلحة المتفوقة التي لدى العدو ان تسحقهم دون ان تتعرض للخطر . ولكن في المقابل يكمنون في مواقعهم ولا يتركونهـــــا وينتظرون حتى يصبح الجيش في مدى قريب من نيرانهم المنطلقة مـــن اسلحة متخلفة .

لقد كانت هزيمة الثورة حتمية بسبب الافتقار الى التعاون مع المدن الروسية الاخرى ، وبسبب جهل الفلاحين ، ولكن تلك الثورة نجحت في تأكيد الحقيقة القائلة ان الجندي المحترف ، حتى ضمن الظروف العصرية الراهنة ، مُعطَّل تماما في القتال ضد مدنيين ثوريين مصممين على القتال تصميما اكيدا (١) .

---

١ ـ يلاحظ القارىء من هذه المقالة ان كونولي لم يطلع على كتابات لينين حول ثورة موسكو ، خاصة ، مقالة «دروس ثورة موسكو» ، ولكن رغم ذلك استطاع ان يلمح ما هو جوهري في تجربة ثورة موسكو ١٩٠٥ من الناحية العسكرية ، ولا شك في انه كان سيغني دراسته هذه كثيرا لو اتاحت له الظروف الاطلاع على ملحوظات لينين العسكرية حولها .
ـ المترجم ـ

٥ حزيران (يونيو) ١٩١٥

الانتفاضة المسلحة في التيرول Tyrol

لقد عادت التيرول لتحتل موقع الصدارة كمسرح للعمليات العسكرية، في مجرى تطور الحرب الحالية بين ايطاليا وبين الولايات الوسطى . لذلك فان قصة الانتفاضة المسلحة في التيرول عام ١٨٠٩ ستكون ذات اهمية مزدوجة للقارىء . فهي من ناحية تصور دروس حرب اهلية ، كما تصور من ناحية ثانية طبيعة الشعب والبلاد موضوع البحث .

ان التيرول ، في الواقع ، جزء من سلسلة جبال الألب ، ذلك الجزء الذي يمتد شرقا من جبال الالب السويسرية شاقا طريقه بين الحدود الجنوبية لالمانيا وبين الحدود الشمالية لايطاليا . وهو جزء من البلاد النمساوية ، ويتكلم سكانه اللغة الالمانية ، وأغلبيتهم شديدة التمسك بالعقيدة الكاثوليكية . وقد وصفهم المؤرخ الانكليزي أليسون Alison بأوصاف تبدو غريبة الآن بالنسبة لوجهة النظر الانكليزية الرسمية تجاه كل ما هو الماني . يقول أليسون «ان السكان ، مثلهم مثل كل أولئك المنحدرين من أصل الماني ، يتميزون بالشجاعة ، والحيوية ، والامانة ، والتمسك بالتقاليد ، وعدم الخوف من الخطر ، وبالادمان على شرب الخمر» . ان الوصف الاخير – الادمان على الخمر – ليس وصفا مميزا لاي شعب في وقت كان السكر فيه قانونا عاما يشمل كل الشعوب الاوروبية ، وكان هنا في هذه الجزر أسوأ من اي مكان آخر . ولكن

التيروليين كانوا معتادين ايضا على استخدام السلاح ، وقد ادى التمرن على الرماية في فرق الميليشيا ، والزمر المدربة ، كما في الصيد ، الى جعل قسم كبير من شبان التيرول ممتازي التسديد على الهدف .

لقد انتزعت التيرول من الامبراطورية النمساوية بعد هزيمة النمسا من قبل نابليون عام ١٨٠٥ ، وضمت الى بافاريا Bavaria حليفة نابليون وفقا لمعاهدة بريزبيرغ Presburg . لقد قاوم التيروليون تسليم بلادهم على هذه الصورة ، مقاومة ازدادت حدتها بسبب المسلك المتهتك الـذي سلكه الجنود الفرنسيون الذين ارسلوا كحامية عسكرية الى تلك المقاطعة. وبعد ان تفكر التيروليون بما حل بهم من مصائب قرروا القيام بثورة فسعوا لدى امبراطور النمسا واخذوا منه وعداً بمساعدتهم والتعاون معهم .

لقد كان هنالك ثلاث شخصيات قائدة في الثورة ، سواء في التحضير لها او في تنفيذها . وهؤلاء هم اندرياس هوفـــر Andreas Hofer وسبيكباكر Spechbacher وجوزيف هاسبنغر Joseph Haspinger وكان هوفر القائد صاحب حان، وذا تأثير محلي واسع حصل عليه نتيجة لشخصيته القوية، وللفرص التي اتاحها له عمله في التعامل مع الناس. وهو عمل كان في ذلك الوقت مهما جدا قبل اختراع القطارات الحديدية . امــا سبيكباكر فكان مزارعا وحطّابا ، وكان مطلوبا للعدالة ، وملاحقا لمدى عدة سنوات قبل ان يتزوج ويستقر . اما جوزيف هاسبنغر فكان راهبا وقد عرف بسبب لون لحيته بلقب روث ـ بارت Roth-Bart او صاحب اللحية الحمراء .

ويلاحظ هنا انه لم يكن بين هؤلاء القادة الثلاثة من هو عسكــري محترف ، ومع ذلك استطاعوا فرادى وجماعيا ، ان ينزلوا الهزيمة بأفضل جنرالات الجيش الفرنسي ـ الجيش الذي هزم العسكريين المحترفين في كل اوروبا .

حدد اليوم الثامن من نيسان (ابريل) ، عام ١٨٠٩ ، موعدا لاندلاع الانتفاضة ، واعطيت علامة البدء في ذلك اليوم بالقاء اكوام من نشارة الخشب في نهر ريفر إن River Inn الذي حملها ليدور بها عبر اودية الجبال كلها ، وتبع ذلك اشعال النار على رؤوس التلال ، وانتقال النساء

والاطفال من بيت لبيت موصلين قصاصات ورق كتب عليها «لقد حان الوقت» .

وكانت الثورة في احدى المناطق ، وهي سانت لورينزو St. Lorenzo قد سُبِقَت باجراءات من الجيش حيث علم قادة الجيش بمشروع الثورة، فحاولوا احتلال جسر يتحكم بطرق المواصلات بين الجزء العلوي من الوادي وبين برونيكين Bruneken . ولم ينتظر الفلاحون في تلك المنطقة وصول تعليمات القيادة لبدء العمل ، فبادروا لمنع الجيش من احتلال الجسر ، فتحرك ريد Wrede الجنرال البافاري على راس الفي رجل ومعه ثلاثة مدافع لسحق تمرد الفلاحين . ولكن الفلاحين استخفوا وراء الصخور والاشجار ، وأفادوا من كل غطاء قدمته الطبيعة لهم ، وراحوا يمطرون الجيش بوابل من النيران ، فلحقت به خسائر فادحة ، ولكنه اندفع الى امام وأخذ الفلاحون يتراجعون الى الخلف . وهنا وصلت قوات من الحرس النمساوي جاءت لمساعدة الثوار ، فتراجع البافاريون . وعندما وصلوا الى الجسر عند لاديتش Laditch كانت الملاحقة كثيفة للغاية مما اضطرهم الى الانقسام الى فوجين ، احدهما سار باتجاه أعلى النهر بينما زحف الآخر بالاتجاه المعاكس . وكانت النتيجة ان أُخذ القسم الاعظم من تلك القوات اسرى عند بالزانو Balsano ، ووقع جنرال بين الاسرى.

لقد تسلم هوفر القيادة في ستيرزينغ Sterzing ، حيث واجه الفلاحون هجوما من قوات كبيرة من الجيش، ولكنهم احتموا وراء الاشجار والصخور وصدوا هجمات المشاة . وعندما جلبت المدفعية اضطرتها طبيعة الارض على الاقتراب الى مسافة اصبحت فيها ضمن مدى نيران البنادق ، وكانت النتيجة ان استطاع قناصة الفلاحين ان يسقطوا رجال المدفعية ، وما ان تحقق ذلك حتى اندفع الثوار واكتسحوا كل ما أمامهم بهجمتهم الكثيفة ذات الزخم ، فأسر ثلاثمائة وتسعين جنديا وسقط مائتان واربعون بين قتيل وجريح .

وتحرك رتل فرنسي تحت قيادة الجنرالين بيسون Bisson وريد Wrede ، وحاول شق طريقه عبر برينر Brenner ، وتراجع الفلاحون من أمامه حتى وصلوا لويج Lueg الذي يشكل مضيقا بين

جبلين ، وهنا هدم الثوار الجسور ونصبوا المتاريس في الطرقات وكانت اكواما من الاشجار ، فاصطدم الجنود بها وراحوا يتساقطون بالجملة امام الجسور والمتاريس بينما اندفعت مجموعة منهم تحاول شق الطريق .

وفي ذلك الوقت هاجمت كتلة كبيرة من الفلاحين انزبروغ **Innsbruck** عاصمة التيرول واستولوا عليها . ولكن قوات بيسون وريد استطاعت في النهاية شق طريقها عبر برينر بينما استمر الثوار في كل نقطة يهاجمون اجنحتها ومؤخرتها ، ويقنصونها من خلف مكامـــــن حسنة التغطية ، ويندفعون لسحق اي جزء شاء مصيره العاثر ان يُعزل عن الجسم الرئيسي للقوات الذي استطاع بعد لأي ان يصل الى الارض المكشوفة ولكن ليجد المدينة تحت سيطرة الثوار، ويجد أمامه كتلا من الاعداء المسلحين ينتظرونه خلف مواقع استراتيجية . ودارت معركة قصيرة بين قوات بيسون وبين الثوار ولكنه سرعان ما وجد نفسه مطوقا بين نارين فاستسلم ومعه حوالي ثلاثة آلاف جندي .

سيطر سبيكباكر على هول **Hall** في التيرول الاسفل . وثمة دليل رائع على شمولية الثورة يمكن رؤيته هنا من خلال الواقعة التالية وهي نقل اربعماية سجين من الجيش الفرنسي تحت حماية مكونة من نساء مسلحات لان الثوار كانوا بحاجة لوضع كل الرجال على خط النار .

لقد انزل الثوار ، خلال اسبوع واحد ، الهزيمة بعشرة آلاف جندي نظامي كانوا قد خاضوا عشرات الحملات العسكرية ، وأسروا منهم ستة آلاف .

شارك الاولاد والنساء في معركة انزبروغ **Innsbruck** في ٢٨-٢٩ ايار (مايو) ، اذ راحوا ينقلون الطعام والماء والذخائر للثوار . وعندمـــا استنفذ الثوار رصاص الرش راح الاولاد والنساء يعيدون جمعه ليستخدمه الثوار من جديد . وكان من بين هؤلاء ابن سبيكباكر ويبلغ من العمر عشر سنوات ، وكان اكثر الجميع نشاطا وجرأة .

ولكن بعد الهزيمة الكلية التي مني بها النمساويون وسقوط العاصمة فيينا بيد نابليون ، عاد الجيش الفرنسي فاستولى على مدينة إنزبروغ بقوة

تبلغ ثلاثين الف جندي . ودعا الجنرال الفرنسي قائد الحملة هوفر للظهور في إنزبروغ فأجابه هوفر انه : «سيحضر ولكـــن مع عشرة آلاف مـــن القناصة » .

لقد هبطت معنويات الفلاحين ، في البداية ، بسبب تخلي النمساويين عنهم ، وعاد كثير منهم الى بيوتهم . ولكنهم عادوا فتجمعوا تلبية لنداءات قادتهم ، وبهذا اندلع القتال من جديد في الرابع من آب (اغسطس) .

تحـــرك رتل مـــن الفرنسيين والبافاريين لقطـــع جسر لاديتش **Laditch** الذي يوصل الطريق الرئيسي من بالزانو **Balsano** عبر نهر ايزاخ **Eisach** بالطريق الرئيسي الى العاصمة . كـــان التيروليون تحت قيادة هاسبنغر قد احتلوا الغابات التي كانت تكســـو الجبال. وعندما اصبح الجيش كله في مضيق جبلـــي امطروه بالرصاص وأهالوا عليه الصخور دون ان يكشفوا مواقعهم . وراح الجنود يتساقطون مع كل خطوة يخطونها ، وراحت الصخور تسد المعابر امام الاجنحة . ولكن الجنود استمروا في شق طريقهم حتى وصلوا أضيق نقطة في ذاك المضيق واذا بالهدوء والصمت يخيمان على جنبات الجبال ، فخيم الرعب معهما وتوقف الرتل لا اراديا ..

وهمس صوت في ذلك السكون :

« اسطيفان ، هل ابدأ ؟ هل ابدأ ؟»

وأجابه صوت آخر هامسا :

« ليس بعد ، ليس بعد » .

استرد الجنود رباطة جأشهم ، واستأنفوا الزحف بصمت وحذر ، ولكن ما ان توغلوا اكثر فأكثر في ذلك المر المخنوق حتى اندفع الصوت الآخر قائلا :

«الآن ، باسم الآب والابن والروح القدس ، ارخوها» ، وما ان لفظت

الكلمة الاخيرة حتى أفلت سد من قرومات الشجر كان يحتجز اطنانا من الصخور التي كدست خلفه ، وراحت تلك الكتل الضخمة تتدحرج مثل الانهيارات الثلجية على رؤوس الجنود جارفة معها سرايا بأسرها وتاركة خلفها اجسادا مهروسة . ولكن على الرغم من هذه الكارثة اندفع الرتل يشق طريقه باتجاه الجسر ، وما ان وصله حتى رأى النيران تلتهمه مصحوبة بتيار من النيران يمنع تقدمه ، فتراجع الجيش باتجاه النقطة التي بدأ زحفه منها واستمر الرصاص ينهال عليه طوال الطريق من عدد غير مرئي ، وبلغت خسائره الفا ومائتي رجل .

حاول المارشال ليفيبر Lefebre ، في العاشر من آب (اغسطس) ، على رأس عشرين الف رجل ان يشق طريقه عبر برينر . فراحت زمر صغيرة من الثوار تهاجمه من كل نقطة ، فتعطل تقدمه ، وقامت العراقيل في طريقه ، بكل عقبة يمكن ان تزودها الطبيعة ، او يمكن ان تقترحها العبقرية الإنسانية . وكانت النتيجة ان الجيش تراجع وقد خسر ٢٥ مدفعا فضلا عن كامل ذخائره .

وهوجم الجيش الفرنسي ، في ١٢ آب (اغسطس) ، في إنزبروغ من قبل قادة الثوار الثلاثة ، ونزلت الهزيمة به رغم انه كان مؤلفا من ثلاثة وعشرين الف جندي مشاة ، وألفي جندي من الفرسان ، واربعين مدفع ميدان . وبهذا وفى هوفر بوعده في القدوم الى انزبروغ «ومعه عشرة آلاف من القناصة» . وخسر الفرنسيون ستةآلاف ما بين قتيل وجريح وأسير .

كانت هذه آخر الانتصارات البارزة التي حققها الثوار ، اذ بعد ان عقد الفرنسيون سلما مع النمسا ، ولم تكن هنالك حرب أخرى تشغلهم ، استطاعوا التركيز على التيرول فجمعوا قوة كبيرة جعلت اية مقاومة محالة . وعاد الثوار الى بيوتهم ، وتخلوا عن المقاومة .

ملحوظات

كانت طبيعة ارض التيرول ملائمة جدا لطراز القتال الذي شنه الثوار ، ولكن عبقرية الثوار لعبت ايضا دورا حاسما . فقد افادوا من كل غطاء ، ولم يكشفوا انفسهم الا نادرا ، وحذروا دائما من ان تتحول شجاعتهم الى تهور .

لقد بذل الثوار أقصى الجهد لاغراء المدفعية من الاقتراب الى مدى تصبح فيه ضمن مدى نيرانهم ، فكانوا يكمنون بهدوء قدر الامكان حتى تصبح المدفعية ضمن مدى بنادقهم ويكون بالمقدور اقتناص رجالها . وقد اخذ الثوار هذا الموقف نفسه في حالات تبدو كأنها مناقضة مباشرة لكل علم عسكري ، وذلك حين بدوا وكأنهم قد تخلوا عن اي قتال جبهوي في ارض مكشوفة ، وسمحوا للعدو ان يتقدم ويقترب منهم اقترابا شديدا دون ان يفتحوا عليه النار . ولكن ما يبدو خطأ في تكتيكهم قام على اساس حكم سليم ما دامت الاسلحة المتفوقة بيد العدو تستطيع سحق اية مواجهة من مسافة بعيدة ، بينما اضطرار الجيش النظامي ان يقترب جدا قبل الاشتباك بالنيران جعله يفقد تفوقه الاساسي على الثوار ، ويُحرم من مزاياه في الانضباط والنظام وقيادة الضباط الماهرين .



١٢ حزيران (يونيو) ١٩١٥

الثورة في بلجيكا

اجتمعت الدول الحليفة في فيينا عام ١٨١٥ ، بعد ان هُزم نابليون وخلع نهائيا ، ومضت تبحث مسألة مصير اوروبا .

كانت كل الدول الاوروبية التي تحالفت مع الامبراطورية البريطانية ضد نابليون قد اعلنت للعالم ولشعوبها ، في اثناء الحرب ، انها تقاتل من اجل الحرية والحقوق القومية وضد الاضطهاد الاجنبي . ولكن أولئك الحلفاء ، في اجتماعهم في فيينا ، راحوا يتنكرون بفظاظة لكل الاشياء التي افترُض انهم قاتلوا في سبيلها . وكانت النتيجة ان امما قسمت تقسيما ضد مصالحها القومية ، كما حدث في حالة ايطاليا ، او أُخضعت لحكام اجانب جدد دون اخذ رأيها كما حدث في حالة بلجيكا . اذ اخضعت بالقوة تحت حكم هولندا . ولم يكن باستطاعة بلجيكا ان تقاوم ما دامت كل دول اوروبا عدا فرنسا ، قد مثلت في مؤتمر فيينا ، وكانت جيوش كل اوروبا رهن اشارة تلك الدول لفرض بنود اتفاقيات المؤتمر . ويمكن القول هنا ان تقرير مصير اوروبا من قبل القوى الحليفة جاء معارضة صارخة لارادة شعوبها ، وتنكرا فظا واجهاضا لكل ما تظاهر الحلفاء انهم يقاتلون في سبيله ، وكانت النتيجة اندلاع سلسلة من الثورات في الدول الاوروبية .

لقد اتهمت هولندا في حكمها لبلجيكا بأنها تشن حملة منظمة ضد كل

مظهر للحياة الوطنية البلجيكيةاو تعبير عنها. واتهمها البلجيكيون ايضا بأنها حرمت اللغة البلجيكية القومية وجعلت الاولوية الرسمية للغة الهولندية . وسعت لوضع موظفين هولنديين في كل المراكز وطرد الموظفين البلجيكيين الذين لا يقلون كفاءة . وانها روجت للصناعات الهولندية باستصدار تشريعات تسهيلية وراحت تعرقل الصناعات البلجيكية ، واخيرا ان بلجيكا عوملت من كل النواحي كمنطقة محتلة لا كدولة حليفة .

راح البلجيكيون يثيرون هذه المظالم بطرق مختلفة ولجأوا الى مختلف المجهودات لايجاد علاج ولكن لم يجد ذلك نفعا . وكانت النتيجة ان اندلعت الثورة في بروكسل عام ١٨٣٠ أي بعد خمس عشرة سنة من قرارات مؤتمر فيينا .

هاجمت مجموعة مسلحة في الخامس والعشرين من آب (اغسطس) ١٨٣٠ دار الطباعة والنشر التابعة للجريدة الرئيسية الموالية للهولنديين « الوطني » National وبعد ان اجهز عليها شن هجوم آخر على مجموعة من مشاغل صنع الاسلحة واغتنم ما فيها من سلاح . ثم هوجم بيت وزير العدل الهولندي م. مانين M. Van Mannen واحرق ودمر تماما .

دعي الجيش في ٢٦ آب (اغسطس) للتدخل ، واندلع القتال في الشوارع . وكانت الجماهير قد حصلت على كمية جيدة من السلاح والذخائر وتصدت ، بنجاح ، لهجمات الجيش . وما كان من الجيش الا ان انسحب بأكمله الى القصر الملكي . اما سبب هذا الانسحاب فقد وصف في الصحافة الانكليزية ، في حينه ، على الصورة التالية :

« على القوات النظامية ، في حرب الشوارع ، ان تجمع قواتها وتعمل ككتلة واحدة،اذا أريد لها انتكون ذاتتأثير فعال، وانلا تقاتل تحتظروف غير ملائمة مطلقا » .

وبهذا أخليت شوارع المدينة لتطلق فيها يد الشعب الذي استمر في التنفيس عن انتقامه ضد بيوت الموظفين الرسميين ودور الحكومة . وقد هوجمت بيوت النائب العام ومدير البوليس وحاكم المدينة وسحب أثاثها

الى الشوارع وأحرق .

كانت الطبقة الوسطى البلجيكية حتى هذه اللحظة تراقب الاحـــداث مراقبة سلبية ، ولكنها بدات الآن تنظم نفسها في حرس محلي لتدافع عـــن ممتلكاتها واخذت مواقعها في المدينة ، اما عنوة ، واما باتفاق مع العمـــال المسلحين الذين تحملوا لوحدهم حتى الآن كل عبء القتال . لقـــد جند خمسة آلاف في الحرس المحلي وعين البارون هوغفورست Hoogvorst قائدا عليها . وتم احتلال كل المواقع العسكرية في المدينة من قبل الحـــرس المحلي ، بينما بقي الجيش سلبيا خارج المدينة .

انتخب الحرس المحلي لجنة السلامة العامة التي أصدرت بيانا اوضحت فيه مظالم الامة البلجيكية ، وطالب باجراء اصلاحات . ونـــص البنـــد السادس في البيان على ان :

« يوزع الخبز على كل العمال المحتاجين لتأمـــين حاجتـــهم الى ان يستأنفوا عملهم » .

عندما حاول الجيش الملكي ان يزحف الى بروكسل بلغ وهو في الطريق انه سيواجه بمقاومة ، اذا حاول الدخول الى المدينة ، بينما سيحافـــظ الحرس على النظام اذا بقي الجيش خارجها .

لم يكن هنالك ، حتى ذلك الوقت ، اي حديث حول الانفصال ولـكن الاعلام الملكية مزقت، وارتفعت على العمارات رايات بلجيكية مميزة، وحمل الشعب المسلح رايات مماثلة .

ارسل امير اورينج Prince of Orange في ٣٠ آب (اغسطس) موفدا يعلن انه في طريقه لدخول المدينة . وعاد رسوله بجواب يقـول ان باستطاعته المجيء لوحده او مع حرسه الخاص . وما كان منه الا ان هـــدد بقصف المدينة ، ورد الشعب عليه باشادة المتاريس في كل الشوارع المؤدية الى المدينة ، وتركيز قوات على ابوابها . وعندئذ اعلن الامير امرا يطلب فيه من السكان ان ينزلوا اعلام الثورة وشعاراتها ، وانه سيدخل المدينة ويتولى امورهم . وقد رفض هذا ايضا ، فما كان منه الا ان وافق على دخـــول

المدينة منفردا .

ارسل وفد الى لاهاي ليضع بين يدي الملك مطالب البلجيكيين وكان استقبال الملك للوفد استقبالا وديا للغاية ، كعادة الملوك دائما عندما يكونون في محنة ، ووعد باجراء عدة اصلاحات ولكنه أصر على دخول ابنه الامير الى بروكسل على راس قواته ، وطلب من اعضاء الوفد ان يتفاوضوا مع وزير الداخلية . وتم هذا الاجتماع وتقدم اعضاء الوفد فيه بطلب جديد ـ انفصال بلجيكا عن هولندا وجعلها مملكة مستقلة في ظل الملك نفسه .

عندما وصلت الامور عند هذه النقطة انقسمت البلاد ، كما هو الحال في ايرلنده في يومنا هذا ، اذ تقدمت انتويرب Antuerb وجينت Ghent بعرائض ضد الانفصال ، بينما أعلنت تورني Tournay وفيرفيرز Verviers ومونز Mons ونامور Namur الانفصال واستولى الحرس المحلي في كل منها عليها واعلن الثورة . وتبعت بروغز Bruges خطاها. وتقدمت الطبقة العاملة في كل من هذه المناطق بتسلم القيادة واجبرت الحرس المدني على الخلاص من تردده ، وجعله ينضم لصفوف الثورة .

لقد ضاقت الطبقة العاملة في بروكسل ، ذرعا من تردد وتذبذب ممثلي الطبقة الوسطى ، فتسلمت زمام الامور بيديها وزحفت في التاسع عشر من ايلول (سبتمبر) على دار الحكومة Tours Hall معلنة التمرد واستولت على اربعين مركز سلاح واستولت في اليوم التالي على دار الحكومة وسائر المواقع العسكرية في المدينة ، وكان حظها جيدا اذ حصلت على كميات كبيرة من السلاح والذخائر . وحلت لجنة السلامة العامة التي شكلتها الطبقة الوسطى ، وأسست مكانها حكومة مؤقتة .

زحف الامير فريدريك في الحادي والعشرين من ايلول (سبتمبر) على بروكسل وأمر الحرس بتسليم مواقعهم ، وانزال كل اعلام الثورة ، وطرد كل المسلحين الغرباء ، وهدد بأنه سيعتبر اعضاء لجنة السلامة العامة ، واعضاء مجلس ضباط الحرس ، واعضاء هيئة البلدية مسؤولين شخصيا عما يمكن أن يحدث . ولكن كانت كل هذه الهيئات محلولة فذهب تهديده ادراج الرياح . واستعد الشعب للقتال .

انتصبت المتاريس في كل الشوارع وعلى مداخل المدينة ، وحطمت الارصفة وأخذت حجارتها الى أسطحة المنازل في الشوارع التي سيمر منها الجيش . واتخذت كل الاستعدادات الضرورية ، وكانت النساء ، بشكل خاص ، نشطات للغاية في انجاز الاستعدادات . وابتدأ القتال في الثاني والعشرين من الشهر ، وقد بقي المواطنون من الطبقة الوسطى الذين كانوا اعضاء في الحرس المحلي ، في بيوتهم ، وبعيدين عن القتال .

ابتدأ الجيش هجومه على ست نقاط مختلفة او قل ست مناطق واستطاع افتتاحها وهي فلاندرز Flanders واوديرليخت Auderlecht ولاكن Lacken وسكاربك Schaarbeck ونامور Namur ولوفان Louvain . لقد استطاعت المدفعية اختراق الابواب والمتاريس الملحقة بها ، بسهولة ، ولكن ما ان تقدم الجيش واذا بالعراقيل تقف الواحدة تلو الاخرى امامه ، وبدت المقاومة وكأنها تضاعف نفسها مع كل خطوة نحو داخل المدينة وأخذ القتال يزداد كثافة وزخما كلما تم التوغل في المدينة اكثر . لقد اكتسح الجنود عند بوابة فلاندرز كل ما امامهم بقصف مدفعي مركز ، وتقدموا بثبات الى ان اصطدموا بمتراس قوي عند منعطف الشارع حال دون وصول المدفعية اليه . وهنا تعرض الجيش لنيران حامية من خلف المتاريس ، وأمطر بوابل من الحجارة انهالت عليه من على الاسطحة ومعها قطع الاثاث الثقيلة والقضبان الحديدية والبلطات وكل ما يمكن ان يقذف . وبهذا صدوا واضطروا الى التراجع . وكان مصير الجيش عند بوابة اوديرليخت لا يختلف عن مصيره بعد بوابة فلاندرز ، اما عند بوابة لاكن Lacken فقد استطاع الثوار اجبار الجيش على التراجع بعد ان مني بخسائر فادحة .

ان الفرقة التي هاجمت من بوابة سكاربك شقت طريقها حتى وصلت ساحة مكشوفة فالتجأت اليها بعيدا عن الاحياء المزدحمة والشوارع المعادية ، فتوقفت فيها دون ان تجرؤ على التقدم نحو الشوارع . اما الفرقتان اللتان هاجمتا من جهة بوابتي نامور ولوفان فقد شقتا طريقهما الى مسافة قصيرة ، وتوقفتا دون ان تجرؤا على التقدم اكثر .

انضمت الطبقة الوسطى في الرابع والعشرين الى صفوف الثوار من

الطبقة العاملة وتجدد القتال بزخم جديد . ولم يستطع الجيش بعد يـوم طويل من القتال الضاري ان يتقدم رغم انه استطاع السيطرة عـلى شارع واحد . اما الثوار فقد بقوا مسيطرين على المدينة ولكنهم ما كانوا منظمين جيدا ليصبح بمقدورهم طرد الجيش من موقع القدم الذي ناله في المدينة.

تدفق المتطوعون في ٢٦ و ٢٧ من ذلك الشهر ، من المناطق المجـاورة وانضموا الى الثوار ، مما شجع الثوار فراحوا يشددون الخنـاق عـلى الجيش لطرده من المدينة ، وما كان من الجيش الا ان تخلى عن القتـال ، وانسحب من المدينة ، بعد ان اعتقد بأن وضعه ميؤوس منه .

بلغ مجموع خسائر الثوار من ٢٢ حتى ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٦٥ قتيلا و ٣١١ جريحا .

لم يعد للحكومة اية سيطرة على بلجيكا ، بعد الانسحاب من بروكسل ، عدا في بعض القلاع . وراحت الجماهير تنتفض في كل مدينة ، كما أخذت القوات البلجيكية تنضم للثورة ، ولم يمض وقت طويل حتى تهاوت القلاع الواحدة بعد الاخرى واصبحت تحت سيطرة الثوار .

لقد أسرت الحامية الهولندية في كل من آت ATH ومونـز Mons . اما في نامور فقـد تخلت الحامية عن الحصن شريطـة السماح لها بمغادرته . واقدم الف ومائة رجل من حامية ليبج Liege على اقتراح الشروط نفسها . وظلت جنت Ghent مستعصية على الثورة حتى ١٦ تشرين الاول (اكتوبـر) عندما استسلمت حسـب الشروط نفسها التي استسلمت فيها نامور .

استولى البلجيكيون على اكثر القلاع ولم يبق خارج سيطرتهم غـير انتويرب Antuerp ومياسترخت Maestricht ولوكسمبورغ Luxemburg .

وعقد مؤتمر وطني في العاشر من تشرين الثاني(نوفمبر) وأعلن تأسيس مملكة بلجيكا التي تم الاعتراف بها فيما بعد من قبل كل الدول الاوروبية .

ملحوظـات

لقد أدى انتصار الثورة في بروكسل ، وتمكن قوات مدنية مسلحة من التصدي لقوات نظامية الى تكريس فكرة سادت اوروبا تقول ان من واجب الضباط الذين يقودون جيشا نظاميا ان يرفضوا ، ضمن مثل تلك الظروف ، القتال في الشوارع ، ويحافظوا على الدخول في معارك نظامية، او يقنعوا بحصار المدينة . وقد انحدرت وجهة النظر الرسمية الانكليزية من هذه النصيحة التي اصبحت في تلك الفترة بمثابة البدهية .

يجب تذكر نقطتين في اثناء دراسة ثورة بروكسل :

الاولى : ان الثورة في بروكسل ، عكس الثورات الاوروبية الاخرى ، لم تواجه عموما جيشا مخلخلا . لقد كانت صراعا بين امتين . ومن هنا فقد انتصرت الثورة في بروكسل بسبب قوتها ومركزها العسكريين فقط.

الثاني : ان اختراع بارود لا يترك دخانا جعل قتال الشوارع على الجيش النظامي شديد الوطأة ، ومحطما للمعنويات ، لانه لم يعد بمقدوره رؤية مصدر الرصاص الذي راح يمزق صفوفه .



١٩ حزيران (يونيو) ١٩١٥

الدفاع عن آلامو Alamo

انفصلت المكسيك ، عام ١٨٢١ ، عن مملكة اسبانيا ، ودخلت مرحلة اضطرابات وقلاقل داخلية . وكانت ولاية تكساس الامريكية الآن ، جزءا لا يتجزأ من الجمهورية المكسيكية في ذلك الوقت . وكانت غالبية سكانها من المكسيكيين وبعض الفئات الاسبانية او فئات من أصل امتزاج هندي ـ اسباني ، ولكن كان الى جانب هؤلاء عدد كبير من المهاجرين الذين جاءوا من الولايات المتحدة ، وقد امتلك بعضهم ارضا بموجب قانون الحكومة المكسيكية ، بينما كان الآخرون من الصيادين وبائعي جلود الحيوانات والمغامرين . وكان هؤلاء الاخيرون غير ميالين للخضوع للقوانين المكسيكية، خاصة وان التغييرات المختلفة التي حدثت في الحكومة المكسيكية جعلت تلك القوانين في وضع مقلقل ، ومما زاد الاشكال حول هذ المسألة هو عدم وضوح الكيفية التي سيطبق فيها المسؤولون الجدد هذه القوانين . وبالتالي زاد الاضطراب جسامة مع ازدياد اعداد المهاجرين ، ومع اختلاف امزجة كل حاكم جديد . واذا أضفنا الى هذا الوضع المضطرب تلك المخططات التي صممها ملاك العبيد في الولايات المتحدة والتي استهدفت توسيع مناطق العبودية جنوبا . لان ملاك العبيد الذين لم يستطيعوا توسيع الحزام العبودي شمالا ، وداهمهم خطر ازدياد نمو الولايات الحرة غربا ، وجدوا انفسهم محتاجين الى تأمين مناطق جديدة تقوم على اساس امتلاك العبيد يصبح بالامكان الاعتماد على اصواتها ضد الخطر الداهم من جراء تعاظم الميل لتحرير العبيد في الكونغرس ومجلس الشيوخ . ومن هنا فان

المهاجرين الناقمين في تكساس تلقوا دعما سريا من حكومة الولايات المتحدة، ولما كان لهم مظالم حقيقية واصيلة فقد تطورت نقمتهم تدريجا الى ثورة .

تبنى الكونفرس المكسيكي عام ١٨٣٥ دستورا جديدا تضمن بندا يستهدف حل مراكز القوى وتركيز كل السلطات في الكونفرس في مدينة مكسيكو . ولاقت هذه المسألة معارضة من عدة مناطق في البلاد .

انعقد مؤتمر تكساسي في آذار (مارس) ١٨٣٦ ، واعلن تكساس جمهورية حرة مستقلة . واسست حكومة مؤقتة وعين سام هوستون Sam Houston قائدا عاما . وابتدات المعارك فورا .

وقع قتال في مناطق عديدة ، خاصة ، في سان انطونيو دي بكسار San Antonio de Bexar حيث استطاع الثوار بعد خمسة ايام من قتال الشوارع اجبار الحامية على الاستسلام . وعندما سمع الرئيس المكسيكي سانتا آنا Santa Anna اخبار هذه الكارثة تحرك على راس جيش مؤلف من عشرة آلاف رجل وقطع نهر ريوغراندي Rio Grande الذي يشكل خط الحدود بين المكسيك وتكساس ، وزحف باتجاه الثوار . وكان في طريق زحف الجيش قلعة خشبية قديمة تعرف باسم آلامو Alamo تمركز فيها ضابط تكساسي اسمه ترافيس Travis ومعه ١٤٥ رجلا . وحاصرت القوات المكسيكية قلعة آلامو ، وارسل ترافيس الرسالة التالية طلبا للتعزيزات :

« طلب مني العدو الاستسلام بتعقل ، والا سيعمل السيف في الحامية. وقد أجبت على ذلك الطلب بقذيفة مدفع . وما زالت رايتنا تخفق بعنفوان من على الاسوار . واننا لن نستسلم ولن نتراجع . الحرية أو الموت ! »

صمدت القوة التكساسية المؤلفة من ١٤٥ ثائرا مدة عشرة ايام في وجه جيش مكسيكي يبلغ عشرة آلاف جندي . وقد حاول المكسيكيون المرة تلو الاخرى اكتساح الموقع ولكنهم كانوا يدحرون . لقد كان الجرحى التكساسيون يسندون من قبل رفاقهم ويتابعون القتال حتى الموت. وكانت هجمات الجنود النظاميين بالحراب تواجه باعقاب البنادق او بقذف

سكاكين الصيادين السريعة المميتة . وعندما استطاع المكسيكيون في النهاية ان ينتصروا على القلعة ويكتسحوها تبين ان خسائرهم بلغت حدا لم يسبق له في التاريخ مثيل . لقد قتل الف وخمسمائة مكسيكي او بمعدل عشرة مكسيكيين مقابل تكساسي واحد .

لم ينج حي واحد او يستسلم ، فقد قتل كل المدافعين وجمعت جثثهم كومة واحدة واحرقت .

ولكن الدفاع عن آلامو اتاح للثوار في مناطق أخرى فرصة تنظيم مقاومتهم . وكان الجنرال ساموئيل هوستون قد نزل الى الميدان على رأس الف ومائتي مقاتل واصبح في وضع يمكنه من شن حملة نظامية . وتبنى هوستون سياسة الانسحاب والانتظار رافضا ان يجر الى معركة مكشوفة قبل الاوان ، وظل كذلك مستفيدا من الوقت في تنظيم رجاله ، وخلق جيشا منهم .

وتقابل الجيشان في ١٩ نيسان (أبريل) ١٨٣٦ في بوفالو بايو Buffalo Bayou ، ونزلت هزيمة منكرة بالمكسيكيين واعمل السيف بهم ، وأخذ جنرالهم مع ستمائة رجل اسيرا .

أنهت هذه المعركة الحملة العسكرية ونالت تكساس استقلالها بعد ذلك بمدة وجيزة ، وتم الاعتراف بها رسميا .

ملحوظات

كان الدفاع عن آلامو احد الهزائم التي كثيرا ما تكون اعظم فائدة لقضية من كثير من الانتصارات التي تزف بالطبول . فقد شحنت القوات التكساسية بالحماسة والمرارة ، كما انها منحت رفاق المدافعين في اماكن اخرى فرصة من الوقت لتنظيم صفوفهم . وكان من حسن حظ التكساسيين ان كان على رأسهم هوستون الجنرال الذي ادرك ان عملية وجود قوة ثوار في الميدان تشكل بحد ذاتها قيمة كبرى في تأسيس وضع ثوري ، وامتلاك كل مقومات الحكومة وهيبتها . ولهذا فقد أبقى قواته في الميدان دون قتال اطول مدة ممكنة بالرغم من همهمة رجاله ، ولم يشتبك بمعركة حاسمة الا بعد ان تأكد انه امتلك جيشا .

٣ تموز (يوليو) ١٩١٥

الثورة في باريس ١٨٣٠

عادت اسرة بوربون لتحتل عرش فرنسا بعد ان خلعت قوات الحلفاء نابليون ، وكان رجوعها الى العرش ضد رغبة الشعب الفرنسي . وقبلت تلك العائلة ، في البداية ، باحداث بعض التنازلات الخفيفة لروح الديمقراطية التي أججتها الثورة الفرنسية في اوروبا ، ولكن تدريجا ، ومع تقدم الشعب في طلباته بزيادة حقوقه المدنية أصبحت العائلة المالكة وبلاطها اكثر فأكثر رجعية ومعارضة للاصلاح .

واخيرا ، اخذت الحكومة خطوات لكبت حرية الصحافة ، واغلقت اربع صحف نشطة في حركة الاصلاح ، وحكم على محرريها بالسجن وبغرامات مالية ضخمة . وانحاز مجلس النواب ضد الملك وقدم له عريضة تطالب بالاصلاح . وكان جوابه حل المجلس ، وأمر باجراء انتخابات عامة .

عندما انتهت الانتخابات تبين ان حزب الاصلاح ، رغم التضييقات الانتخابية والارهاب الحكومي المستمر ، قد فاز بالمجلس الجديد بمائتين وسبعين مقعدا من بين ٤٢٨ مقعدا ، ولم يفز انصار الحكومة بأكثر من ١٤٥ مقعدا .

ورد الملك على نتائج الانتخابات في ٢٥ تموز (يوليو) ١٨٣٠ باصدار مرسوم يلغي كل حريات المواطنين بجرة قلم .

وحل مجلس النواب حتى قبل ان يعقد جلسة واحدة .

وعلقت حرية الصحافة. وصدرت اوامر بمنع أية كتابة ضد التعليمات، وبمصادرة المطابع والصحف التي تنشرها ، او بتعطيلها على اعتبار انها غير مستوفية لغاياتها .

وغَيَّر قانون الانتخاب بشكل جعل الانتخابات كليا تحت سلطة الملك وحزبه .

كانت باريس في ذلك الوقت محروسة بحامية مؤلفة من ٤٧٥٠ رجلا من الحرس الوطني ، و ٤٤٠٠ من الجيش النظامي ، و ١١٠٠ عسكري اضافي ، و ١٣٠٠ شرطي او جندرمة .

انطلقت اولى دلائل المقاومة من جانب الصحافة . فقد اجتمع اربعة اشخاص من الصحفيين الرئيسيين واصدروا البيان التالي الذي نشرته صحيفة الوطني National

« لقد سقطت الحكومة الشرعية وساد حكم الطغيان ، ولم تعد الطاعة في مثل هذا الظرف الذي نحن فيه واجبا . ويجب ان يكون اول المواطنين الذين يلبون هذا النداء هم كتاب الصحف . اذ ينبغي لهم ان يكونوا القدوة الاولى في مقاومة السلطة التي جردت عن نفسها صفة الشرعية » .

ولم يبزغ صباح ٢٧ تموز (يوليو) حتى كان البوليس قد باشر بمداهمة الصحف وتحطيم المطابع . ولاقى مقاومة في مناطق متعددة . ولم يسمح له بدخول دور صحيفتي تيمس Temps والوطني National وبينما حاول اقتحام غرف الطباعة راحت الاوراق تلقى من النوافذ الى الشارع بعد طباعتها. وتناولتها الجموع المحتشدة ووزعتها، بسرعة البرق، في كل باريس .

وطلب من الحدادين ان يأتوا لكسر الابواب ولكنهم رفضوا المثول للاوامر ، ولم يستطع رجال البوليس فتحها الا بعد ان جلبوا حدادا مجرما كان محكوما عليه في السجن ، فدخلوا الى المطابع وحطموها كلها .

لقد الهب مثال المقاومة هذا ، المدينة بأسرها ، وتحركت أعداد ضخمة من الجماهير في كل مكان . وكانت دار رئيس الوزراء محروسة بكتيبة من الحرس ومدفعي ميدان ، وكانت هنالك فرقة من المشاة تتجول في المناطق المجاورة . وكانت هنالك ثلاث كتائب تحرس واجهة القصر الملكي ، كمـــا حرست كتيبتان من الحرس ومعها مدفعـان ساحـة لويس الحادي عشر وكانت هنالـــك أفواج مـن الجيش تحرس ساحـة فاندوم Vandome وبهذا كانت كل الساحات الكبيرة تحت سيطرة الجيش .

حاول البوليس اخلاء الشوارع من المتظاهرين ففشل ، وأمرت قوات الجيش بالمساعدة في ذلك . وما ان دفعوا الجماهير الى الخلف في شارع روسانت هونور Rue St Honore ، حتـــى دوت اول طلقة مـــن احد البيوت في الشارع الرئيسي .. لقد كانت طلقة بندقية وجرحت احد الجنـود .

فتح الجيش النار على ذلك البيت وفرت الجماهير . ولكن ما ان راح الجيش يطارد الجمهور المتراجع حتى اصطدم بأول متراس أقيم من عربة قلبت وتراكمت عليها وحولها صنوف شتى من الاثاث والعراقيل . ولكن لما كان اولئك الذين خلف المتراس مسلحين بالحجارة فقط ، فقد استطاع الجيش اكتساحه بسهولة بعد ان امطره بوابل من الرصاص .

ودار قتال في مناطق اخرى من المدينة ، واستطاعت الجماهـــير ان تقتحم احدى مراكز الشرطة وتستولي على كل ما فيه من سلاح ومعـدات وذخائـر .

هاجم الشعب في اليوم التالي ، ٢٨ تموز ، كل مشاغل صنع الاسلحة واستولى على ما فيها من سلاح ومعدات . وقامت المتاريس في كل انحاء المدينة، واقتحمت مراكز البوليس وسيطر على ما فيها من اسلحة وذخائر. ونظمت الطبقة العاملة في فوبورغ نفسها وزحفت باتجاه دار الحكومة او هوتيـــل دي فيـــل Hotel de Ville ، ووزع السـلاح مـــن مراكـز عديـدة .

قرر الجيش اقتحام المناطق التي اقيمت فيها المتاريس ، بأربعة طوابير

تتقدم من اربع نقاط تكتيكية . وتقدم الطابور الاول من حـي الاغنيـاء في المدينة ولم يلق معارضة تذكر .

دخل الطابور الثاني من بورت سانت مارتن Porte St Martin فاستقبل بنيران القناصة . ولكن بعد ان رد بجولتين من القصف المدفعي. وبوابل من رصاص بنادق المشاة استطاع سحق المقاومة في تلـك النقطة ، الا انه ما ان تقدم الى مركز المدينة حتى وجد الثوار قد نصبوا المتـاريس امامه ، وكلما توغل اكثر كلما ازدادت المتـاريس التي راحت تنصب وراء مؤخرته . واخيرا وصل هدفه في الساحة الكبرى ساحـة الباستيـل Palace de la Bastille ولكنـه حين حاول الرجـوع الى الخلـف اوقفته المتاريس المذكورة اعلاه وحصرته نيران كثيفة انطلقت من كل فوهات الشوارع المتقاطعة . وعندما فشلت عدة محاولات للرجوع مـن الطريـق المحدد له في الخطة ، خاف قائده ان يفقد المدفعية فأمر الطابور بشـق طريقه عبر الاتجاه المضاد تاركا الارض التي كان قد احتلها بأيدي الثـوار ، ووصل نقطة أصبح فيها مقطوع الاتصال كليا مع القيادة العامة . كان هـذا الطابور قد اجتاز مواقع للثوار ولكنه تركها كما وجدها ، وقد علق احـد الكتاب : « كانوا قد تعلموا كيف يواجهون القوات الملكيـة بـلا خـوف ، وادركوا قيمة اسلوب القتال الذي تبنوه » .

وصل الطابور الثالث منطقـة السـوق الكبـير مارشي دى انوسين Marché des Innocens ولكنه ما ان وصل تلك النقطة حتى قوبل بنيران حامية هبطت عليه من الاسطحة والنوافذ مصحوبة بوابـل مـن الحجارة وقطع الزجاج والقناني وقطع الحديد . وصدرت الاوامر لكتيبة بالزحف عبر بورت سانت دينيس Porte St. Denis لتنظيفه ثم العودة الى مواقع الطابور . وعندما بدأت تلك الكتيبة بتنفيذ الامر اعترض طريقها متراس قام امام بناية ضخمة هي كور باتاف Cour Batave وكان الثوار هنا قد كمنوا في الساحة وراحوا يطلقون النـار مـن خـلف الدرابزين الحديدي الذي سور الساحة ، واخذت نيرانهم تفتك بالقـوات التي راحت تحاول تحطيم المتراس . ولم يكن باستطاعة هذه الكتيبة ايضا ان ترجع من الطريق الذي أتت منه لان متاريس جديدة اقيمت خلفها بعد مرورها . اما الكتيبة المرافقة لها التي راحت تنتظر في ساحة السوق فقد وجدت نفسها محاصرة في نطاق من المتاريس التي أخذت ترتفع في كـل الشوارع المحيطة فضلا عن النيران التي راحت تنصب عليها مع كل حركة

تقوم بها ، واخيرا استطاعت ، وهي في براثن اليأس ، ان ترسل رسولا طلبا للنجدة .

لقد حلق احد وكلاء الضباط شاربيه ، وخلع بزته العسكرية ، وارتدى ملابس حمال في السوق ، ونجح في المرور من خطوط الثوار ووصل الى القائد العام لمنطقة باريس ، وبلغه رسالة قائد الطابور طلبا للنجدة . وارسلت النجدة على شكل كتيبة اخرى شقت طريقها بكل صعوبة الى ساحة السوق ، وهناك اتحدت القوات ، وقاتلت بضراوة لفتح طريق الانسحاب ، وتمكنت من الانسحاب ولكن بخسائر فادحة .

توجه الطابور الرابع ليشق طريقه الى دار الحكومة هوتل دي فيل Hotel de Ville وانقسم الطابور الى قسمين . زحف قسم باتجاه الجسر ـ الكوبري ـ وتلقاه الثوار بنيران كثيفة ، ولكنه استطاع بمساعدة المدفعية ، ومجيء كتيبة تعزيز اخرى ، ان يشق طريقه ووصل الى هدفه ـ هوتل دى فيل وساحة دى غريف Place de Gréve المجاورة . وكان الثوار قد نصبوا المتاريس في كل الشوارع المحيطة ، وطفقوا يطلقون النار من كل الزوايا والنوافذ . وقد كتب احد الكتاب يقول :

« لقد تبين ان المدافع الملحقة بالحرس لم تؤد الا الى تسبيب ارباك » .

واخيرا ، وجدت القوات النظامية ان من غير الممكن الدفاع عن ذلك المكان فقررت العودة وراحت تشق طريقها بكل صعوبة تحت هجمات مستمرة من الشعب الذي كان يطبق كالبحر على الممرات التي تجتازها قوات الجيش .

كانت نهاية القتال في ذلك اليوم قد اسفرت عن سيطرة الشعب في كل مكان . وجاءت قوات نظامية جديدة ، في صباح اليوم التالي ، من المناطق خارج باريس ولكن كان الثوار في باريس قد قاموا باستعدادات ضخمة لملاقاتها . لقد تقطعت الشوارع بالمتاريس وتحولت الارصفة الى متاريس ايضا . وارتفعت تلال من العراقيل في الشوارع . لقد رصفت البراميل التي عبئت بالرمل ، وانتصبت كالاسوار ، واستخدمت الاعمدة الخشبية والالواح وقضبان الحديد وكل ما من شأنه ان ينصب متراسا .

وقلبت العربات بمختلف انواعها ونشرت الاشجار لتصبح قلاعا في الشوارع .

ثم حدث شيء غريب . فقد رفضت قوات الجيش الدخول الى الشوارع وراحت بدورها تحصن مواقعها . وأدى هذا الى اعطاء الفرصة للثوار من اجل تنظيم انفسهم ، والتخطيط لقتال منظم منضبط . وعندما زحفوا لملاقاة الجيش جرى قتال أسفر عن انسحاب الجيش من موقعه المركزي ـ اللوفر **Louvre** ، وقد استسلمت بعض الافواج ، وهُجرت المدينة من الجيش .

لقد انتصرت الثورة .

ملحوظات

كان القتال في باريس في هذه الثورة شأنه شأن القتال الذي جرى في بروكسل ذا طبيعة مناورة منطلقة من طبيعة قوات الثوار . اذ لم يكن احتلال شارع من قبل جنود القوات الملكية يساوي الدم الذي دفعوه لانهم ما ان يتقدموا الى امام حتى تنتصب متاريس جديدة في مؤخرتهم على الارض نفسها التي كانوا قد احتلوها قبل قليل . وكانوا ما ان يشقوا طريقهم الى امام حتى يصبح من الضروري لهم ان يكافحوا للعودة من حيث أتوا . ولم يكن باستطاعتهم ان يسيطروا على غير الارض التي يقفون عليها، ثم تطبق عليهم المتاريس المحيطة لتقطع طرق امدادهم ومواصلاتهم ، وتجعل الدفاع عن موقعهم غير ذي جدوى . كان على الجيش اذا اراد مقاومة الثورة بنجاح ان يمتلك قوات كافية لان تحتل بالقوة كل شبر من الارض تعبره وتستمر في احتلاله ، مضافا اليها قوات اخرى مركزة في نقاط تكتيكية قوية ، تتوفر فيها اعداد كافية لنجدة اية نقطة عبر الخط الطويل الذي اخترقه الجيش يمكن ان تتعرض لهجوم .

١٢ تموز (يوليو) ، ١٩١٥

ليكسينغتون Lexington

كانت المرة الاولى التي أريق فيها دم في قتال فعلي في الثورة الامريكية، في ليكسينغتون ـ ماساشوستس في ١٩ نيسان (ابريل) ١٧٧٥ . ومن هناك اشتعلت النار « وسمعت اصوات الرصاص في كل العالم » .. الرصاص الذي تردد صداه كنداء النفير يدعو أمة الى السير على درب الحياة .

كان النزاع بين البرلمان البريطاني وبين المستوطنين الامريكيين يتطور تدريجا الى نقطة حاسمة . وكانت مدينة بوسطن Boston التي قادت التحريض ضد الاعمال القهرية التي اقترفتها الحكومة البريطانية، قد ملئت بالقوات البريطانية التي حشدت لارهاب الامريكيين ، بينما راح الامريكيون يجمعون الاسلحة والذخائر ويخبئونها في مناطق عديدة في البلاد من اجل ان يكونوا مستعدين لاية تطورات مفاجئة . كانت كل الظروف ، ذلك الوقت ، تبدو معاكسة تماما للامريكيين ، الامر الذي جعل فئة قليلة جدا فقط ، تحلم بتحقيق استقلال المستعمرات الثلاث عشرة .

كانت المستعمرات ضئيلة السكان ، وكانت وسائل المواصلات هزيلة والطرقات رديئة ، ولم تكن هنالك رابطة متماسكة فيما بينها . وكان لدى البريطانيين اسطول بحري كبير يرابط على شاطىء الاطلسي ، وقادر على انزال القوات ضد اية مقاومة في اية نقطة وسحقها قبل ان تصلب عودها .

وكانت الطرقات الرديئة وقلة السكان والغابات التي لا مواصلات فيها قد جعلت من الصعب على الامريكيين ان يتحدوا بشكل يمكنهم من مواجهة الحملة البريطانية . وكانت هنالك اوساط واسعة من السكان ايضا ملكية اكثر من الملك وقد صممت على الوقوف الى جانب انكلترا ضد زملائها المستوطنين الآخرين .

نظرا لكل هذه الاسباب ظل هنالك امل في حل سلمي للنزاع حتى وقعت الحادثة التي سنشرحها، فكنست في طريقها المفاوضين والمتشككين ووضعت المسألة بيد القوات المسلحة .

ارسل الجنرال البريطاني كيج Cage الذي كان قائد الحملة في بوسطن قوات عسكرية في ليلة ١٨ وصباح ١٩ نيسان (ابريل) الى داخل المستعمرة بحثا عن اسلحة وذخائر كان الامريكيون قد جمعوها واختزنوها في قرية ليكسينغتون . لقد مضت هذه الحملة سرا من بوسطن في قوارب عبر نهر تشارلز Charles ونزلت الى الارض في مكان يعرف بمزرعة فيب Phipp ، ومن هناك اندفعت بسرعة نحو بلدة كونكورد Concord ووصلتها في الساعة الخامسة صباحا. لقد بذلت الحملة كل الجهود الممكنة لتجعل تحركها سرا ، فقد راحت ترسل الضباط والدوريات من الخيالة امامها لاعتقال كل مواطن يصدفها في الطريق من اجل الحيلولة دون انتشار اخبارها واطلاق النذير . ولكن النذير انطلق عن طريق مواطن خيال اسمه بول ريفير Paul Revere حيث مضى يعدو على فرسه امامها ويطلق صيحات الانذار طولا وعرضا . فراحت الاجراس تقرع ، والنيران تشعل ، وتطلق المدافع لايقاظ النيام من السكان بمجرد مغادرة ريفير في طريقه لانذار اماكن اخرى .

عندما وصلت القوات البريطانية قرية ليكسينغتون وجدت الميليشيا الامريكية بانتظارها . فأمر قائد الحملة الامريكيين بالتفرق . فرفض أمره، فأطلق الجنود النار فسقط ثمانية قتلى وعدد من الجرحى .

فر الامريكيون ، وتوجه الجنود البريطانيون نحو كونكورد فأرسلوا ست سرايا امامهم للسيطرة على جسرين امام البلدة بقصد قطع طريق انسحاب اية قوات مسلحة قد تعترض طريقهم . وتراجعت الميليشيا

الامريكية من ليكسينغتون،وسيطرت عليها القوة الرئيسية من تلك الحملة. وراحت فورا تدمر كل المخازن واستولت على ثلاثة مدافع وكمية من الذخائر وكمية كبيرة من البارود والقنابل حملت والقيت في النهر. وكذلك القيت في النهر اعداد من اكياس الطحين . وكانت الاجراس خلال كل تلك الفترة تقرع داعية الشعب للتواجد ، وكانت المشاعل قد تألقت فوق كل تلة ، وراح المراسلون ينتشرون في كل اتجاه ناقلين اخبار الجنود الذين اعلنوا الحرب . واخذ المزارعون واهالي المدن يتدفقون الى موقع الاحداث.

عندما قارب الجيش من الانتهاء من مهمته في التخريب بدأ يستعد للانسحاب ولكن عند هذه اللحظة اندلع القتال الحقيقي لذلك اليوم .

لقد أخذت المشاة تستعد لمغادرة البلدة وحاولت تدمير الجسور خلفها وحاولت سرية ميليشيا ان تقطع احد الجسور على أمل أنقاذ بعضا من المخازن الا ان الجنود اطلقوا النار عليها وسقط قتيلان . فرد الامريكيون على النار بالمثل مما اضطر القوات النظامية على الانسحاب تاركة وراءها عددا من القتلى والجرحى ، وأسر ملازم ومعه عدد من الجنود .

وما ان انسحب الجيش حتى كانت كل المنطقة قد هبت من حوله . وراحت المناوشة تتلو المناوشة ، وكمن وراء البيوت والاسوار والغابات والصخور والخنادق رجال تسلحوا بالبنادق ، ولم يغامروا قط بمواجهة امامية مع الجيش ، وانما استمروا بملاحقته كما يلاحق الصياد فريسته .

لقد انسحب الجيش من ليكسينغتون وكان معززا بست عشرة سرية مشاة وفصيلة بحارة ومدفعيين بقيادة لورد بيرسي Percy وكان على القوات ان تقطع المسافة ما بين ليكسينغتون وبوسطن والبالغة ستة عشر ميلا تحت ظروف قتال مستمر . وكان الشعب لا يقترب اكثر من مدى النيران ، وقد ركز مناوشاته ضد المؤخرة والاجنحة ، وكان ينتظر خلف الاشجار والقرومات والصخور ليصلي القوات بنيران حامية ولكن دون ان يكشف نفسه لها .

كانت تجربة مريرة بالنسبة للجنود ، اذ بدا لهم ان العدو يخرج من قلب الارض . وكانت مقدمتهم ومؤخرتهم والاجنحة في حالة اشتباك

مستمر طوال الوقت وكانت كل لحظة تتطلب ان تبقى الاعصـــاب مشدودة يقظـــة . واخيرا وصلوا الى تشارلستون Charleston واخذتهـــــم القوارب من هناك ، تحت حماية الاسطول ، الى بوسطن .

اعترف البريطانيون بخسائر تبلغ ٢٧٣ قتيلا وجريحا وأسر ملازمـــين وعشرين جنديا . وكان من بين الجرحى الكولونيل سميث Smith قائد الحملة ومساعده وعدد من الضباط .

وبلغت خسائر الامريكيين ستين قتيلا وجريحا فقط .

ملحوظـات

كانت معركة ليكسينغتون نصرا للبريطانيين اذا ما اخذت من ناحيـة تحقيقها لاهدافها اي تدمير مخازن الذخيرة في قرية ليكسينغتون. ولكنها كانت نصرا ايضا بالنسبة للثوار ، لانهم استطاعوا السيطرة على المنطقـة بعد المعركة واضطروا العدو على الانسحاب ، وانزلوا به من الخسائر خلال انسحابه اكثر مما خسروا في المعركة . ومن هنا فان معركة ليكسينغتون كانت مثل بقية المعارك الاولى في الثورات . اذ كان النصر دائما في المعارك الاولى من نصيب القوات النظامية ، ولكن كان الجيش الامريكي بعد كل معركة يخرج اكثر قوة ونظاما . فقد حطمت ليكسينغتون أسطورة مناعة الجيش النظامي ، وشجعت أولئك الذين اجترأوا على مواجهته ، واعطت ايمانا لكل أولئك المتشككين لكي يدركوا ان ما من أمة يمكن استعبادها ، اذا قرر شعبها ان يرى الموت احب اليه من العبودية .

١٧ تموز (يوليو) ١٩١٥

حزيران (يونيو) ١٨٤٨

أطيح بلويس فيليب Louis Phillippe وحكمه الملكي في شباط (فبراير) ١٨٤٨ ، بوساطة ثورة اندلعت في شوارع باريس مدعومة بانتفاضات في كل انحاء فرنسا . ويرجع الفضل في انتصار هذه الثورة، كما هو الحال في كل الثورات المشابهة ، الى الطبقة العاملة وروحها القتالية الحازمة . ولكن حدث في هذه الثورة ، كما حدث في الثورات السابقة، ان الطبقة العاملة كانت بعد ان تقوم بكامل القتال ، تترك الطبقة الوسطى لتجني ثمار النصر . ولكنها قررت في هذه المرة ان تطالب ببعض الحقوق لنفسها .

كان التعليم قد تقدم بسرعة ، وكانت اعداد العمال ، بالاضافة الى ذلك ، اكبر من اي يوم مضى . ولهذا فان الطبقة العاملة طالبت ، والسلاح ما زال بيدها ، من الحكومة الجديدة ان تضع في دستورها الاجتماعي مواد تتعلق بتحسين الاوضاع الاجتماعية المعيشية . ووافقت الحكومة بتردد ، وان تظاهرت بحماسة فائقة لقضية العمال ، واسست « مشاغل وطنية» تضمن العمل لكل من يطلبه .

طبعا كان هذا البند غير سليم اقتصاديا ومقدرا له الفشل ، ولكنه خدّر العمال لبعض الوقت .

لقد افادت الحكومة الجمهورية من الوقت لانضاج خططها ضد الحركة الجماهيرية ولتنظيم قواتها العسكرية ضد العمال ، واستوعبت المشاغل الوطنية آلاف العمال ، وراح شعراء الطبقة الوسطى يتحدثون ويتغنون بحماسة ممجدين **عصر** العمال . ولكن الحكومة كانت طوال ذلك الوقت تحشد قواتها العسكرية في باريس ، وراحت تبعد الوحدات العسكرية التي من اصل مدني عن العاصمة لتضع مكانها قوات من المناطق البعيدة ؛ كما راحت تحسن قوة المدفعية ، وتستعد بهدوء لسحق العمال اذا اصروا على فكرتهم القائلة ان على الجمهورية ان تعتبرهم ابناءها لا عبيدها . واخيرا عندما تمت الاستعدادات اخذت الحكومة تسرّح آلاف العمال من المشاغل الوطنية ، وتشكل فرقا من العمال لنقلها من باريس بالقوة لتعمل في بناء السدود في المناطق .

تشكلت احدى تلك الفرق من اربعة عشر الف عامل اغلبهم من الباريسيين ومن اعضاء نوادي العمل المحلية . وبالاضافة الى هذا الترحيل الجماعي الى مناطق غير معروفة للعمال ، فقد قررت الحكومة في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٨٤٨ ، تسريح ثلاثة آلاف عامل وأمرتهم بمغادرة باريس بحجة انهم لم يولدوا فيها . وزودوا بتذاكر السفر وبمصاريف الطريق حتى مناطق ولادتهم .

لقد اندلعت ثورة حزيران (يونيو) ١٨٤٨ من جراء عمليات الترحيل هذه .

لقد عاد مساء ذلك اليوم حوالي اربعمائة عامل الى المدينة بعد ان رحلوا عنها في الصباح ، وداروا بتظاهرة في الشوارع تدعو رفاقهم الى مقاومة مؤامرة الحكومة التي تستهدف تدمير القوة العاملة . وتعالى في صباح اليوم التالي النفير الشعبي داعيا الى السلاح . وبدات المتاريس تنصب في الشوارع . وانتفضت ، بسرعة البرق ، كل الاحياء العاملة ، وراح الثوار يحصنون أحياءهم ، بمهارة وسرعة ، مما جاء دليلا على وجود عقول ذكية جدا وراءهم انشغلت في التحضير لمواجهة مخططات الحكومة.

وبدأ القتال في بورت سانت دينس Porte St. Denis ولم يكتسح

المتراس هنا الا بعد ان دحر هجوم الجيش مرتين . وجرى قتال مشابه في بورت سانت مارتن Porte St. Martin وعدة نقـــاط اخرى ، واستطاع الجيش في كل منها اكتساح المتاريس . ولكن تبين في كل من تلك النقاط ان الثوار حين يجدون ان الدفاع عن المتراس اصبح غير ذي جدوى ، كانوا يتراجعون ليدافعوا خلف متراس آخر أعد لهذه الغاية . وعندما حاول الجنود ملاحقتهم وجدوا انفسهم وسط نيران مميتة تنصب عليهم من كل الشوارع والبيوت الجانبية . فقد استولى الثوار علـــى البيوت التي تتحكم في الشوارع وكانوا قد رتبوا الدفاع عن تلك البيوت بصورة علمية تماما . فقد فتحت ثغرات في الحائط الامامي ، واقيمت المتاريس في المدخل وهي عبارة عن اثاث وعلب وقرومات وكل اشكـــال العراقيل ، وكانت الفراغات بين الاسوار المتجاورة قد ضيقت بشكل لا يسمح لغير رجل واحد بالعبور . وكان احتلال البيت الواحد يتطلب قتالا بالسلاح الابيض ، وحتى حين يتم ذلك كان الثوار يعيدون الكرة في البيت المجاور .

لقد شبهت بعض البيوت بثغور الارانب مليئة بالثغرات والمسارب وكان الموت ينتظر الجنود عند كل عطفة وزاوية . واغلقت المنافـــذ بالعوارض الخشبية وأكياس الرمل وبقيت منها ثغرات اطلت منها بنادق القناصة ، وكانت النسوة منهمكات في تحضير الرصاص والقاء الحجارة وقطـــع الزجاج على رؤوس الجنود ، وكن ينقلن العتاد والسلاح ويعنين بالجرحى.

ولم يهبط الليل حتى كان الجيش قد دحر من عــــدة نقاط ، وراح القصف المدفعي يدوي في كل انحاء العاصمة .

تبين في الصباح التالي ان كل المتاريس التي حطمت في ذلك اليوم قد اعيد نصبها من جديد في الليل . ان تعداد كل المناطق والاحياء التي حصنت سيملأ الصفحة بالاسماء دون فائدة ، ولكـن يكفي ان نقول ان الثوار قد ضربوا حصونهم على امتداد شبه دائرة شملت اقساما واسعة من باريس . وكانوا عمليا قد نصبوا حائطا من المتاريس على طول خـط جبهتهم ، وكانوا قد اعدوا البيوت والعمارات بمهارة فائقة في كل النقاط التكتيكية القوية ، واخذوا يطبقون كل اقتراح ذكي تتكشف عنه عبقرية الجماهير خلف خطوطهم .

لقد خصصت بنايتان ضخمتان كمركز للقيادة في مختلف المناطق . فكانتبناية تمبل Temple مركز قيادة المنطقة الشمالية، وكان البانتيون Pantheon مركز قيادة المنطقة الجنوبية ، وكان مستشفى هوتل ديكو Hotel Dicu في الوسط قـــد استولي عليه واعتبر المكتب الاستراتيجي لكل الثورة .

وبدأ الجيش يتدفق الى باريس باعداد ضخمة للغاية من مختلـــف المناطق وقد ساعد على ذلك عدم انشغاله بأية حرب خارجية ، فقد كانت فرنسا في حالة سلم مع كل القوى الاجنبية ، ولهذا فقد كانت قــــوة الجيش بأسرهمتوفرة لمواجهة الثورة، واصدر الجنرالكافياغناك Cavaignac امرا يقول :

«اذا لم تزل المتاريس في مدة اقصاها ظهر هذا اليوم فسوف تستخدم مدافع الهاون والهاوتزر لتدك المتاريس وتلقي بقذائفها خلفها وفي داخل البيوت التي فيها ثوار» .

لم يعبأ احد بهذا التهديد ، وتجدد القتال في اليوم التالي . ولكـــن نقص الذخيرة لدى الثوار لعب دورا سلبيا جدا ضدهم ، وبالاضافة الى ذلك كانت الحكومة قد خططت منذ أمد بعيد لجلب قوات تتفوق عدديا على المسلحين في الثورة ، مع توفير خط امدادات دائم مضمون .

ان القتال في كلوس سانت لازار Clos St. Lazare يعتبر نموذجـا للقتال الذي جرى في سائر المناطق . لذلك فان الوصف التالي مأخوذ عن مشاهد عيان وهو جدير بان ينقل هنا ، يقول :

«كانت المتاريس التي قامت امام العراقيل ضخمة هائلة ، وكـــأن مهندسا نظاميا قد بناها . لقد بنيت من حجارة تبلغ الواحدة منها عشرات الكيلوغرامات ، ومعها قطع من الصخور كانت استجلبت لبناء مستشفى تزن الواحدة منها عدة اطنان . وكانت البيوت التي تغطيها قد احتلت من قبل الثوار . كما احتلت العمارات العالية وأزيلت النوافذ . وكانت البيوت في الجهة المقابلة من البوليفار Boulevard في حوزة الثوار ومليئة بالقناصة . بيد ان الذي عزز قوتهم هو فتح ثغرات في سور المدينة الذي

يرتفع من ١٢ الى ١٤ قدما والذي يمتد طويلا ولا يتقطع الا عشرة اذرع او ١٢ ذراعا بعد كل ميل ، وبلغت الثغرات التي فتحت فيه عدة مئات وكان قطر محيط كل ثغرة يبلغ حوالي ١٥ سم . لقد انطلقت النيران المميتة من هذه الثغرات طول يومي السبت والاحد على الجنود الذين ما كانوا يستطيعون رؤية خصومهم .

«كان المدافعون يتنقلون من ثغرة الى ثغرة بخفة القردة . وما كانوا يرفعون غطاء على السور الا طلبا **للذخائر التي لم يملكوا منها غير النزر اليسير مع احتياط قليل جدا»** .

ولم تصبح المدفعية مريعة الا بعد ان نفدت ذخيرة الثوار . اذ عندئذ اصبح بمقدورها تهديم البناية التي كان الثوار ينتظرون فيها مجيء الهجوم . ومن ثم احتلال الشارع تدريجا بعد تطهيره من المدافعين .

لقد توقف القتال في كل باريس يوم ٢٨ حزيران (يونيو) . وقد ادى عزل المدينة عن دعم المناطق المجاورة لها ، جنبا الى جنب مع وجود تفوق عددي لمصلحة الجيش ، الى تقرير النصر لمصلحة الحكومة في ذلك اليوم.

لقد انتخب الامير لويس نابليون في العاشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٨٤٨ رئيسا للجمهورية . وقضى على الجمهورية ، بمساعدة الجيش ، بعد اربع سنوات من ذلك التاريخ واسقط الحكومة الجمهورية التي انقلبت على العمال الباريسيين ، وقاتلتهم كما سبق ووصفنا أعلاه . وعندما راح لويس نابليون يحطم الجمهورية الفرنسية ، تعالت اصوات مناصريها من ابناء الطبقة الوسطى تدعو ، بلا جدوى ، أولئك الرجال الشجعان الذين خانتهم في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ .

ملحوظات

كانت الثورة التي اندلعت في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ في باريس ، من اكثر الثورات التي قاتل فيها الثوار باقصى عناد وبأفضل أسلوب علمي ، وبمستوى اعلى من اية ثورة ، او محاولة ثورة ، سبق ان عرفتها باريس.

وتشكل دروسها اهمية خاصة لكل طلاب الحرب الذين يرغبون في دراسة الدفاع والهجوم في المدن والقرى والبيوت . ومهما تكن التغييرات التي حدثت كنتيجة لتطور الاسلحة النارية ، واختراع البارود الذي لا يصعد دخانا ، فقد أدت الى زيادة قوة الدفاع . واننا سنحاول في عدد الاسبوع القادم ان نلخص الدروس العسكرية التي يمكن استخلاصها من الثورات المسلحة الكبرى التي عالجناها في هذه الزاوية حتى وقتنا الحالي .

٢٤ تموز (يوليو) ١٩١٥

خلاصة حول
قتال الشوارع

ان اجراء خلاصة كاملة للدروس التي يمكن استخلاصها من الاحداث العسكرية التي شرحنا تفصيلاتها خلال الاشهر الماضية ، قد تتطلب كتابة مجلد ضخم جدا. حقا من الممكن القول ان تلك الدروس جديرة بمثل ذلك التوسع الذي لا يمكن ان توفره خلاصة قصيرة .

ما هو الشارع بالمعنى العسكري للكلمة ؟ ان الشارع عبارة عن مضيق defile او معبر ضيق مخنوق ، ولكن موقعه في مدينة . وان المضيق هو شعِب ضيق لا تستطيع ان تعبره القوات الا بعد ان **تضيق جبهتها** ، وبالتالي تقدم نفسها هدفا جيدا للعدو . وان المضيق ، هو ايضا ، مكان يصعب على الجنود ان **يناوروا فيه** ، خاصة اذا كانت اجنحة المضيق محتلة من قبل العدو .

•

ان طريقا بين الجبال هو مضيق تتشكل اجنحته من الانحدار الطبيعي للجبال كما هو الحال في سكالب Scalp .

وان جسرا فوق نهر هو مضيق تتشكل اجنحته من مياه النهر .

وان الشارع هو مضيق تتشكل اجنحته من البيوت الممتدة على جنباته.

ان قطع طريق بين الجبال ، بدرجة من الأمن ، يتطلب ان تطهر جنبات الجبال بارسال اجنحة لاحتلالها تتقدم عبور الجسم الرئيسي للقوات . اما قطع جسر فيتطلب ان تغطى جنبات النهر بنيران البنادق والمدفعية بينما يعبر الجسر بسرعة . **اما احتلال شارع نصبت فيه متاريس جيدة وحمي من كلا الجانبين بقوات انتشرت في البيوت فيتطلب اقتحام تلك البيوت بيتا بيتا والدخول في قتال بالسلاح الابيض .** وان متراسا وضع في شارع لا تستطيع المدفعية ان تعمل فيه من مسافة طويلة ، فسيكون منيعا ضد الهجمات الامامية ــ الجبهوية . اما جلب المدفعية الى الشارع وعلى بعد مائتي ذراع ــ وهو طول الشارع العادي ، فسيعني فقدان المدفعية حتى ولو قوبلت بقوات مسلحة بالبنادق وغير مدربة جيدا .

لم يكن لدى الثوار في ثورة موسكو الا ٨٠ بندقية ولو تواجد لديهم ثمانمائة بندقية لقضوا على المدفعية .

ان ثورة باريس في حزيران (يونيو) ١٨٤٨ تعلم كيف يجب ان تحَصَّن المناطق في المدن او القرى . فقد وضعت المتاريس في الشوارع في نقاط تكتيكية **وليس في الشوارع الرئيسية** وانما في الشوارع التي تتحكم بالشوارع الرئيسية . وفتحت الحواجز بين البيوت وذلك لجعل الممرات من داخل البيوت وعلى طول الشوارع . وفتحت ثغرات في الاسوار والحيطان ، وسدت النوافذ بأكياس الرمل وبعلب ملئت بالحجارة والسقط والطوب وبقطع الاثاث وبكل ما يمكن ان يتراكم خلفها .

وراح الثوار خلف مثل هذه الدفاعات يصبون نيرانهم على الجنود عبر طلاقات فتحت لهذه الغاية .

لقد استطاعت قرية في اثناء هجوم الحلفاء على نابليون ان تصد بتلك الطريقة عدة هجمات شنها جيش بروسيا حليفة انكلترا . وعندما حل الانكليز مكان أولئك البروسيين لم يجرؤ الجيش الانكليزي على شن هجمات أمامية ، وانما بدلا من ذلك اقتحم بيتا في احد اطراف القرية وبدأ باحتلال بيوت الشارع بيتا بيتا . وبهذا اصبح كل القتال داخل البيوت ، ولم تلعب نيران البنادق الا دورا صغيرا ثانويا . وقد استطاعوا ان يحتلوا كل البيوت على احد جانبي الشارع ولكنهم فشلوا في احتلال الجانب المقابل . وعندما

اعلنت الهدنة كان الانكليز يحتلون طرفا واحدا من القرية بينما كان اعداؤهم الفرنسيون يحتلون الطرف الآخر .

وقادت الهدنة الى عقد صلح . وعندما اعلن الصلح نهائيا كان طرفي شارع القرية محتلين من قبل قوات متقابلة .

ان الدفاع عن عمارة في مدينة ، او بلدة ، او قرية تحكمه القوانين نفسها . اذ ان بقاء مثل تلك البناية دون احتلال يجعلها تشكل خطرا حقيقيا حتى ولو انهزم انصارها جميعا . واذا كانت محاطة على الجانبين بالمتاريس واستطاعت قوات العدو تدمير تلك المتاريس فلن يكون بمقدور تلك القوات ان تتقدم في الشارع تاركة تلك البناية بيد العدو . واذا تخطوها دون ان يحتلوها فسوف يعرضون انفسهم الى خطر صدهم عند نقطة أخرى متقدمة وعندئذ تصبح تلك الهزيمة كارثة حقيقية عند انسحابهم بسبب ترك تلك البناية خلفهم بيد العدو دون ان يحتلوها . لذلك فان تحصين البنايات تحصينا قويا يجب ان يكون المحور الذي يقوم عليه الدفاع عن مدينة او بلدة او قرية ، وهو يشكل الهدف الرئيسي في استعدادات اية قوة مدافعة سواء كانت جيشا نظاميا او قوة من الثوار .

شكل قصر او قلعة جيزبيرغ Geissberg موقعا من هذا الطراز في الجبهة الفرنسية في الرابع من آب (اغسطس) في اثناء الحرب البروسية ـ الفرنسية عام ١٨٧٠ . واستطاع الالمان اكتساح كل منطقة الدعم الفرنسية المحيطة بهذا البيت الريفي ، واكتسحت ساحاته الخارجية ولكنهم دحروا امام الرصاص المنطلق من النوافذ والطلاقات . فجلبوا اربع بطاريات مدفعية على بعد تسعماية ذراع من البيت ، وراحت تقصف أسواره ، واندفعت كتيبة وراءها كتيبة لاكتساحه . وعطل كل تقدم الجيش الالماني حتى تمت السيطرة على هذا البيت . وقد بلغت الخسائر التي دفعها الالمان ثمنا لتلك السيطرة ٢٣ ضابطا و٣٢٩ جنديا ولم يكن فيه غير حامية مؤلفة من مائتي رجل .

قدمت قرية بازيلس Bazeilles في تلك الحملة نفسها درسا تكتيكيا مماثلا ، من ناحية قوة خط من البيوت مُدافع عنها جيدا . لقد استطاع الجيش الالماني دحر الجيش الفرنسي في الميدان ودخل القرية بلا مقاومة.

ولكن احتاجت فرقة كاملة من الجيش ان تقاتل سبع ساعات في القرية حتى استطاعت شق طريقها من قلبها والخروج من الجهة الاخرى .

لقد اعتبرت الارض الجبلية دائما انها صعبة على العمليات العسكرية بسبب طبيعة ممراتها وأوديتها . وما المدينة الا سلسلة ضخمة من تلك المرات والاودية التي شكلتها الشوارع والبنايات . ولهذا فان كل صعوبة تواجهها عمليات الجيش النظامي في الجبال تضاعف في المدينة مئات المرات اكثر من ذلك . وان الصعوبة التي تواجهها قوة شعبية ، او غير نظامية ، من ناحية تأمين الطعام والامدادات في الجبال فتحل مشكلتها في المدن عن طريق عطف الجماهير حين تنزل الى الشوارع .

ان المبدأ الرئيسي الذي يجب ان يستخلص من الدراسة التي عالجناها هو ان الدفاع ذو اهمية عظيمة في مثل هذه الحرب التي قد تدعى قوة شعبية ، مثل جيش المواطن ، للاشتراك فيها . ولا نعني مجرد الدفاع السلبي عن الموقع الذي هو غير ذي قيمة بحد ذاته ، وانما نعني الدفاع الايجابي النشط من نقطة يهدد موقعها تفوق العدو او وجوده . وهنا تتكشف عبقرية القائد في اكتشاف مثل تلك المواقع ، وتتكشف مهارة مساعديه في تحصينه واعداده ، ثم تأتي شجاعة الكل في الدفاع عنه . وان الجمع الخلاق بين العبقرية والمهارة والشجاعة هو وحده الذي يعطي ثمرة النصر العسكري .

ان جيش المواطن Citizen Army وحركة المتطوعين الايرلنديين يرحبان بكل من يرغب في ممارسة هذه المزايا ★ .

★ كتبت هذه الدراسة عام ١٩١٥ ، وقد حدثت تغييرات كثيرة منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، فيما يتعلق بتطور الاسلحة لدى الجيوش النظامية ، خاصة ، المدفعية والدبابات والطيران ـ وهنا خاصة الهيلوكابتر المصفح ـ . ولكن في المقابل اصبحت امكانات توفر الاسلحة المضادة لدى قوة شعبية اكبر من اي يوم مضى ، خاصة الاسلحة الخفيفة السريعة ـ الكلاشينكوف والصواريخ المضادة للدبابات ، والمدافع الخفيفة المضادة للطائرات ، الى جانب تطور تكنيك زرع الالغام وتمشيش القنابل والمتفجرات .

لم تؤد هذه التطورات الى تغيير اساسي في جوهر موضوعة كونولي حول حرب

الشوارع . ولكن اصبح من الضروري على قوة شعبية ، او نظامية ، تدافع عن مدينة او بلدة او قرية ، ان تركز على بناء الملاجىء للجماهير وتزويدها بالطعام والماء والمعدات الطبية واماكن قضاء الحاجة ودفن القتلى . الى جانب التوسع في بناء ملاجـــــىء مستشفيات لاستقبال الجرحى على ان تكون صغيرة الحجم ولكن واسعة الانتشار جدا . لقد اصبحت هذه المسألة ضرورة اساسية لتحمل قصف كثيف مركز قد يدوم اياما كثيرة قبل ان تجرؤ القوة النظامية المعادية على احتلال المدينة او القرية . لان من الممكن ان تعتمد تلك القوة المعادية على عنصر التدمير الذي يستهدف تحطيم معنويات الجماهير والمقاتلين . ومن هنا كانت مسألة المهارة في الحماية السلبية من قوة النيران ، والتعزيز السيكولوجي ضدها، يلعبان دورا حاسما ، خاصة ، في المراحل الاولى قبل ان تحاول قوات العدو اقتحام المدينة والاشتباك في معارك شوارع ، من شارع لشارع ، ومن بيت لبيت .

اما من ناحية نصب المتاريس فما زالت شكلا من اشكال اقامة العراقيل والسدود امام تقدم العدو ولكن مع دخول الدبابات الثقيلة التي تستطيع قصفها وتجاوزها فقد اصبح من الضروري التركيز اكثر على زرع الشوارع بكل اشكال الالغام المضادة للدبابات مع حمايتها من مسافة بعيدة بقناصة ضد رجال الهندسة ، وبرماة الصواريخ ضد جسم الدبابة ، ورماة القنابل من النوافذ والاسطحة . كما ان مغادرة اية عمارة سيدخلها العـــدو تقتضي ان تمشش القنابل بنقاط متفرقة تجعل العدو يخوض معركة طويلة حتى بعد اخلائها من الثوار.

ان زيادة كثافة النيران التي يمكن ان يواجهها المدافعون في المراحل التحضيرية التي تسبق الاقتحام اصبحت تقتضي زيادة التوزيع الحصيف للقوات الدفاعية بين قوات المواجهة الامامية التي يجب ان تكون محدودة قدر المستطاع ، وبين قوات الاحتياط التي يجب ان تبقى في ملاجىء وخنادق محصنة جدا ، ولا تخرج الا عندما يصبح القتال قريبا في قلب الشوارع والبيوت ، مع ابقاء احتياط آخر للهجوم المضاد او التعزيز . ان هذه العملية تتطلب ان تحفر الانفاق بصورة واسعة لتسهل حركة المدافعين وحمايتهم ـ (الخروج مـن الخنادق والملاجىء ضرورة بعد وقف القصف وبدء معارك الشوارع والاشتباك القريب) .

عندما تؤمن القضايا الاساسية آنفة الذكر يغدو اقتحام المدينة من قبل قوات نظامية اشد صعوبة من القتال في الجبال ، وتغدو الافاق واسعة جدا لانتصار اولئك الذين يدافعون من مدينتهم أو بلدتهم او قريتهم ، حتى ولو كان العدو متفوقا بالسلاح والعدد . ـ المترجم ـ



فهرست







هذا الكتاب

مؤلف هذا الكتاب جيمس كونولي الثائر الايرلندي الذي كان من أبرز قادة الحركة العمالية الايرلندية ، وقاد ثورة دبلن ١٩١٦ وقد سقط جريحاً بيد الجيش البريطاني الذي نفذ به حكم الإعدام . فأصبح اسم كونولي منذ ذلك التاريخ حتى اليوم مصدر إلهام مستمر لحركة التحرر القومي الايرلندية ، وللحركة العمالية الايرلندية .

كتب جيمس كونولي هذه الدراسات بالفترة التي كان يهيء بها للانتفاضة المسلحة ، وقد استهدف من ورائها تثقيف جماهير الايرلنديين بدروس سبع ثورات ، تتبع أحداثها بدقة ، ثم استخلص من كل واحدة منها اهم الدروس الخاصة بفن القتال في حرب الشوارع . وألحقها بمقالة جامعة تلخص سمات القتال في شوارع المدن .

يعتبر كتاب « حرب الشوارع »، على صغر حجمه ، مرجعاً رئيسياً في العلم العسكري ، لا غنى عنه للقارىء العربي الذي يهمه صراعنا المسلح ضد العدو الصهيوني والذي لا بد من أن يمتد ، في بعض الحالات إلى قتال في المدن .

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت

الثمن ١٥٠ قرشاً لبنانيا
او ما يعادلها